الأهالي
كتاب رقم
٧٢

التأسلم السياسى وروافده

الإخـوان المسلمـون

د. رفعت السعيد

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

كتاب الأهالى
رقم ٧٣ / ابريل ٢٠٠٢

رئيس الحزب : خالد محيى الدين

رئيس مجلس الادارة : د. رفعت السعيد

هيئة المستشارين : د. إبراهيم سعد الدين /-د: حامد عمار / د. جوده عبد الخالق / د. شبل بدران / /د. ماهر عسل / أ. نبيل زكى / د. يونان لبيب رزق.

الادارة والتحرير : ١ ش كريم الدولة- ميدان طلعت حرب- القاهرة.ج.م.ع.

ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات : يتفق بشأنها مع الادارة :

الاعداد السابقة : توجد نسخ محدودة من الأعداد السابقة من السلسلة ترسل لمن يطلبها خارج القاهرة أو خارج جمهورية مصر العربية بالبريد المسجل ويحسب سعر الكتاب على أساس أن الجنيه يعادل (دولار) أمريكيا ويضاف جنيه مصرى داخل مصر على ثمن الكتاب نفقات البريد كما يضاف (دولار) واحد خارجها إلى الثمن وتحول أثمان الكتاب بحوالة بريدية باسم الأهالى.

كتاب الأهالى سلسلة كتب فصلية تصدرها مؤسسة الأهـالى- حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى- مصر.

كتاب الأهالي

العقل . الاستنارة. الحرية

رئيس التحرير : أمينة شفيق

مدير التحرير : عادل الضوى

يقبل كتاب الاهالى نشر جميع الكتب المؤلفة والمترجمة التى يرغب أصحابها فى نشرها ما دام تخدم الهدف من إصداره ويقبل التبرعات والهبات التى يقدمها المهتمون بنشر الثقافة والراغبون فى تحمل جزء من نفقات إصداره بهدف تخفيض سعر بيعه للجماهير ويشير إلى ذلك إذا طلب صاحب الشأن.

التأسلم السياسى وروافده
الاخوان المسلمون

لماذا؟

عندما صدر كتاب «التيارات السياسية فى مصر» حظى بإهتمام لم أتوقعه.

وتناولته العديد من الكتابات إهتماماً وتحليلا ونقداً.. لكن أكثر هذه الكتابات تركز حول الفصل الخاص بالتأسلم السياسى، ربما لأن هذه الظاهرة اجتذبت اليها الانظار منذ فترة ممتدة، تصاعد خلالها الفعل الارهابى تصاعداً أجبر الجميع على تقبل ما نادينا به منذ سنوات عديدة من ضرورة الاهتمام بدارسة هذه الظاهرة دراسة متأنية.

وبعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبعد كل ما كان، تحولت الانظار - ربما رغم أنف أصحابها - نحو هذه الظاهرة.. وكان الاهتمام بها ضرورة ملحة بالنسبة للجميع.

ومن هنا كان إلحاح الناشر بطلب طبع هذه الدراسة منفصلة لعلها تلبى إحتياجات قارئ يهتم بها، وبما أوردته من معلومات.

وإذا كانت هذه إرادة القارئ .. فمن يستطيع أن يقاومها؟

ولهذا نعيد اصدار هذه الدراسة.

د. رفعت السعيد

القاهره ١٧ / ٢/ ٢٠٠٢

«وإن جادلوك فقل الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون»

قرآن كريم.

«لا تبردوا بريداً إلا مع حسن الوجه، حسن القول، حسن الفعل»

حديث شريف

««القرآن لا ينطق وهو مكتوب، وإنما ينطق به البشر، وهو حمَّال أوجه»

على بن أبى طالب

أنا إلاله
لم آمر أحداً منهم أن يفعل السوء
لكن قلوبهم هى التى أفسدت كل ما قلت.
ورغم أن الانسان إعتاد إرتكاب الخطيئة
فإن الرب يعرف دوماً الرحمة.
لأن الإله فى طيبه لا يضيع يومه كل فى الغضب.
.....
.....
قوة المرء فى لسانه
والحديث الطيب أقوى من الحرب
القتل لا يفيد
لا تكن فظاً.
......
......
إختلت الموازين
إختفى الحق
البعض يحاول حتى خداع الآلهة
يذبحون الأوز كقرابين
ويقدمونها للآلهة زاعمين أنها ثيرانا

من بردية فرعونية

★ بدايه عن التسمية

في كل محاولات تسييس الدين،أو تديين السياسة يبرز إتجاه لإتخاذ أسماء تستهوى قلوب العامة، وتمنح أصحاب هذه المحاولات مساحة من التستر بصحيح الدين لتضليل الناس، ولإستبعاد مخالفيهم من ساحة الإيمان.

ولهذا حرص الإعلام المصرى فى السبعينيات على ألا يستدرج إلى ترديد هذه المسميات«فالجماعة المسلمة « (شكرى مصطفى) أسميت إعلامياً جماعة التكفير والهجرة، و«جماعة شباب محمد» (صالح سرية) أسميت إعلامياً جماعة الفنية العسكرية.

ذلك أن الوقوع فى فخ هذه المسميات يمنح هذه الجماعات مسحة من المهابة الدينية، بينما هى فى حقيقتها لا تستحق ذلك.

كذلك فإن الوقوع فى فخ إستخدام مسميات مثل «الاخوان المسلمون» أو «الجماعات الإسلامية» يعنى لغوياً (كما سنرى فيما بعد) أن كل من هو خارج الجماعة، خارج عن الإسلام. فكأننا إذ نقع فى فخ إستخدام مسمياتهم نكرس مقولاتهم المنافيه للحقيقة، ولصحيح الدين.

ولقد أطلقت على هذه الجماعات مسميات عدة نعتقد أنها جميعاً خاطئة:

١ - الأصوليون:

«معناها الراغبون فى العودة إلى أصل الإسلام، والأصل جليل وهو كلى الصحة، وإعترافنا بإنتسابهم إليه، أو محاولتهم العودة إليه هو إقرار منا بصحة ما يدّعون.

٢ - السلفيون:

وتعنى المحاولين للإنتساب للسلف والإقتداء به. وفي القاموس سلف الرجل هم آباؤه المتقدمون[1] فهم يريدون الانتساب إلى الرعيل الاول من المسلمين، وهم لا يستحقون ذلك، لانهم ليسوا كذلك. .

٣ - المتطرفون:

والتطرف لغة هو الوصول إلى أقصى الشئ دون الخروج عن حدوده. والطرف هو الناحية أو الطائفة من الشئ، ويقال فلان كريم الطرفين أى كريم النسب لأبيه وأمه.[2]

فكأننا إذ نسميهم بالمتطرفين نؤكد أنهم الأكثر إيماناً، والأكثر إقتراباً من صحيح الدين. فإن كان الأمر كذلك فلم لا نقتدى بهم؟ ونسير على دربهم؟

٤ - التيار الإسلامى أو الإسلاميون:

و«إسلامى» هنا صفة أو نعت، والصفة عند النحويين هى تمييز الشئ عما عداه، كأن تقول «مصريين» لتمييزهم عن غيرهم من الشعوب، فإن أضيفت إليها «ال» أصبحت تعنى إستغراق الشئ كله، فإن قلت «المصريين» فإن من عداهم لا يكون مصرياً.

فهل نردد ما يسمح لهم باعتبار أنفسهم وحدهم ودون غيرهم: «المسلمون».

---

١ - مختار الصحاح - طبعه ١٩٢٠ - ص٣٠٩. باب سلف.

٢ - المرجع السابق - ص٣٩ - باب طرف.

٥ - المتأسلمون:

والتاء هنا تعنى فعل شئ كائنت «تفعل»، فإن تأخرت عن الفعل كانت ضميراً، وإن تقدمت صارت علامة. فالتاء إذ تضاف إلى الفعل «أسلم» تعنى أن صاحبة يتشبه أو يدعى أن مقولاته هى صحيح الإسلام بينما هى ليست كذلك.

وهكذا تقول «تأسلم» كما تقول تأقلم. وتفلسف وتأمرك (أى أتخذ علامات الأمريكيين لكنه ليس كذلك) أو إتخذ سمات الفلاسفة دون أن يستحق،... وهكذا.

لهذا فإن التسمية الصحيحة لغوياً هى فى إعتقادى «المتأسلمون».

وسياسياً يمكن أن تكون (إذ ماتحرج البعض من التسمية اللغوية) الجماعات السياسية المتسترة بالدين.

* * *

..وبداية أخرى
عن تسييس الدين

يقول ابن المقفع «الدين تسليم بالايمان، والرأى تسليم بالاختلاف. فمن جعل الدين رأياً فقد جعله خلافاً، ومن جعل الرأى دينا فقد جعله شريعة».

وهكذا فإن تسييس الدين، أو تديين السياسة هو فعل خاطئ من الناحية المنهجية. ذلك ان السياسى يطرح رأياً أو موقفاً أو برنامجاً فإن إختلفت معه كنت معارضاً له، أو معترضاً عليه. لكن هذا الرأى إن جاء متشحاً بالدين، ومستخدماً رداءً دينياً يوحى لك، أو يفرض عليك أن هذا

القول هو الدين ذاته .. أو في أحسن الأحوال هو الرأى الصحيح في الدين وفي معطياته. فماذا لو خالفته أو إختلفت معه؟ أنت إذن تختلف مع صحيح الدين.

ومن هو هذا السياسى الذى يرغب أو يتجاسر فيختلف مع صحيح الدين؟

ومن هنا فإن فكرة إحتكار الدين لصالح جماعة سياسية يعطيها الحق في الاستقواء بالدين على جميع من عداها. أو وفق التعبير المستخدم لديهم «الاستعلاء بالإيمان» فهم الأعلى. الأجدر. الأقوى. الممسكون بمفاتيح الصحة والخطأ، لأنهم الممسكون بمفاتيح الحلال والحرام. أليسوا هم أهل الحل والعقد في الاسلام؟ ولنا في ذلك تفصيل تال.

والمشكلة هنا تأتى من تعمدهم الخلط بين الرأى في الدين، وبين الدين ذاته. فالدين معطى سماوى كلىّ الصحةوالرأي معطي إنسانى نسبى الصحة، فهل يرضى واحد من «أمراء» أو «أئمة» التأسلم السياسى بمنزلة كمنزلة البشر العاديين فيكون رأيه أو رأى جماعته نسبى الصحة؟ فإن رضى فما جدوى «التأسلم» والإلتحاق بالدين، إنه يتأسلم كى يفرض علينا رأيه فرضاً.. فهو جماعه المسلمين، هو صحيح الدين، هو صاحب الحق في تحديد الحدود بين الحلال والحرام..

فماذا لو تجاسرت على مخالفته؟

الاجابة جاهزة ورادعة: من خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف.

ومن هنا وتحت ستار تسييس الدين أو تديين السياسة يكون العنف مفترضاً بل ومفروضاً.

* * *

أتى العنف إلى ساحة السياسة منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان. وجاء مرتدياً – وهذا طبيعي – ثياباً إسلامية. أى إذا شئنا التدقيق اللغوى أتى متأسلماً. طرفان أو أكثر إختلفا أو إختلفوا، ثم تحصن كل منهم بنصوص أو دعاوى أو حتى إدعاءات «متأسلمة» مؤكداً أن موقفه وحده هو «صحيح الإسلام».

أو بالدقة هو الموقف «الحلال» وإن الآخر، كل الآخر هو «الحرام».

حتى مقتل عثمان. صاحب رسول الله، ورفيق معاركه.. وممولها ، وخليفته الثالث أتى «حلالاً» عند البعض. وإختلط «التأسلم السياسى» بالجاهليات القديمة فتبدى الأمر وكأن الناس قد نسوا إسلامهم أو بعضا منه، وعاودا إلى عادة الثأر الجاهلية و العادات القبلية التى نبذها الإسلام.

وعندما إنتصر «الأمويون» تذكروا علي الفور ثأر بدر.. ونقموا علي أهل المدينة مساندتهم للرسول ضد جدهم أبى سفيان. وعندما زار معاوية المدينة وقف فى سكانها – المرحبين به – على مضض – خطيباً فقال: «أما بعد .. فإنى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتى، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة».

أما مسلم بن عقبة قائد معاوية الذى ذهب إلى المدينة ليفرض على سكانها بيعة يزيد إبنه، فقد أشاع القتل والدمار والسبى فى بنات

المدينة، ويقال أن رجاله قد فضوا بكارة ألف بكر من بنات المدينة.. وصمم على أخذ بيعة الناس هناك كالعبيد ، فمن قال بايعته على كتاب الله وسنه رسوله قتله لأنها بيعة مشروطة، وقال: أريد بيعتكم كبيعة العبيد بغير شرط». وإبتهج الامويون.. إستعادوا الثأر القديم.

فالأمويون – وحتى مع مضى الزمن – لم ينسوا ثأر هزيمة جدهم فى غزوة بدر على يدى الرسول وأنصاره من مسلمي المدينة، أى من الأوس والخزرج، فصاح يزيد بن معاوية قائلا:

ليت أشياخى ببدر شهدوا

فزع الخزرج من واقع الأسل

لأهلوا وإستهلوا فرحاً

ولقالوا لوليد لا فشل

ثم بدأت معركة أصطناع أحاديث منسوبة الى الرسول تبرر كل هذا العنف، وتمنح الأمويين حق إنتزاع الحكم لأنفسهم. فالصراع لم يكن سوى صراع سلطة، أو بالدقة صراع على السلطة.

معاوية قال في تواضع مصطنع «والله ما أردتها لنفسى لولا أنى سمعت رسول الله يقول يا معاوية إن حكمت فأعدل».

أما إبن عباس [وكان مواليا لمعاوية] فقال: «أتى جبريل إلى رسول الله فقال : يا محمد أقرئ معاوية السلام ، وإستوص به خيراً فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين».

وبالمناسبة فإن الشاطبى يقول: [ربما أيضا فى خضم الصراعات] سمعت بأذنى من الامام الشافعي : لم يثبت عن إبن عباس فى التفسير

سوى حوالى مائة حديث»[٣]

ونعلم ما فعلوه فى عبد الله ابن بكر إذتعقبوه حتى الفسطاط، طالب بشربه ماء فأبوا، ثم أحرقوه حياً وخاطوا عليه بطن أتان وهو لم يمت بعد.

أنها تقاليد الجاهلية الأولى.. والانتقام القبلى بكل بشاعته تأتى مرتدية ثياباً جديدة..

متسربلة أيضا بالحلال والحرام. ومستندة كذلك إلى «أحاديث» نبوية مصنوعة.

ولم يكن الأموين وحدهم وضاعون للأحاديث فعندما أتى العباسيون على رماح فارسية وهزموا بنى أمية بحد السيف وباشروا ضدهم أبشع أنواع الانتقام، وفرضوا «فارسيتهم» لغة وتقاليداً وحضارةً على هؤلاء «البدو» فتبدى تحديهم وكأنه موجه لا إلى الأمويين وحدهم، وإنما إلى العرب جميعا.. وأصبح «الموالى» سادة فى بغداد وسادت لغتهم فيها حتى صاح المتبنى غاضبا:

ويغدوا الفتى العربى فيها

غريب الأهل واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها

سليمان لسار بترجمان

---

٣ - الشاطبى - شطب الموافقات.

ولكي يتسق ذلك كله مع المعطى الديني الذي يظل دوماً المكون الفكري الأساسي.. وضعوا هم أيضاً أحاديثاً نسبوها للرسول يبررون بها سلطانهم..

سئل رسول الله عن الآية ا لكريمة «وأن تتولوا نول قوماً غيركم» من هم هؤلاء القوم؟ فوضع يديه على منكبي سلمان الفارسي قائلا هذا الفتى ورهطه، والله لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لناله قوم من فارس». وأسرع «العرب» بالرد بحديث مصنوع هو أيضا «إذا إختلف المسلمون فالحق في مضر».

وتبارت الأطراف المتصارعة في «وضع» الاحاديث حتى جمع البخاري ستمائة ألف حديث لم يصح لديه منها إلا ثمانية الآف بعضها مكرر بمعنى أنه روى بأكثر من نص مختلف.

ولقد أفسح هذا المجال لكثير من المنافقين مثل عبد الله بن سبأ الملقب بإبن السوداء، الذي قال بالرجعة أي رجوع الرسول، وقال «العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمداً يرجع، وقد قال تعالى «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» ومحمد أحق بالرجوع من عيسى. ثم قال«إنه كان لكل نبي وصي، وعلى وصي محمد.. محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء»[٤].

وهكذا كان التأسلم السياسي أي إلباس الموقف السياسي أو

---

٤ - إبن الاثير - الكامل في التاريخ - جـ ٣ - ص٧٧.

المصلحة السياسية ثياباً دينية سبيلا للعبث بالمقدس وبالقيم والتعاليم.

* * *

وتتمادى عملية أسلمة السياسية فتتخلق من ثناياها مقولات وأقاويل..

مثل «جماعة المسلمين».. وهذا التعبير قصد به في أيام الرسول التمييز بين «مجموع المسلمين » أى مجموع الناطقين بالشهادتين وبين «الكفار» الذين ينكرون علي الرسول دعوته ونبوته وما يدعو إليه.

وإذا يتمادى الصراع علي الحكم تلجأ كل جماعة إلى الأدعاء بأنها وحدها «الجماعة المسلمة» وأن الآخرين خارجون عن ملة الإسلام.

ثم أتى تعبير «أهل الحل والعقد فى الاسلام.. من والاهم فقد والى صحيح الدين، ومن خالفهم خالفه، ومفارقهم مفارق للإسلام» هذه العبارة لم ترد أبداً فى قرآن أو سنة لكنها وردت ولأول مرة علي لسان الأمام الماوردى ٠(توفى عام ٤٠٠ هجرية) فى كتابه «الاحكام السلطانية).

وتستخدم هذه المقولات حينا لدعم «الصفوة الحاكمة» وفي أحيان أخرى لدعم جماعة سياسية بعينها.

ويتكاثر فقهاء السلطان .. ليجعلوا من شخصه محطاً للخضوع والولاء المطلق وأحيانا للتقديس فأبو بكر الطرطوشى صاحب كتاب «سراج الملوك» يعطى للسلطان كل السلطة والسلطان «فالله سبحانه وتعالى جبل الخلق على عدم الانصاف . فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر، لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقر لهم معاش . ومن الحكم التى وردت فى

إقامة السلطان أنه من حجج الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده.. العالم بأسره فى سلطان الله كالبلد الواحد فى يد سلطان الأرض».

الطرطوشى يقارن بين سلطان الله فى الأرض، وبين سلطان الحاكم على بلده.

ومن ثم يعطى للحاكم سلطاناً ما بعده سلطان.

ويأتى المتأسلمون الجدد إذ ينكرون سلطان السلطة «الجاهلية» كى يعطوا لأنفسهم هذا النوع من السلطة التى تحدث عنه أمثال الماوردى والطرطوشى.

بل إن الطرطوشى يمجد القهر .. والطغيان .. «كذلك السلطان إذا كان قاهراً لرعيته كانت المنفعة به عامة، وكانت الدماء فى أهبها محقونه، والحرم فى خدورهن مصونة، والأسواق عامرة والأموال محروسة»(٥) .. ويسهولة ويسر ينقل المتأسلمون المحدثون كل هذا السلطان الطاغى بل والباغى.. إلى أنفسهم بإعتبارهم «المسلمين» أو «الجماعة المسلمة» أو «أهل الحل والعقد» سيان.

* * *

ومن أبواب التأسلم السياسى ما يسمى بالتفسير النصى للقرآن . أى عدم الاعتداد بأسباب التنزيل وبواعثه، وظروفه، والاستناد فقط إلى

---

٥ - أبو بكر الطرطوشى - سراج الملوك - الباب السابع - ص١٥٦.

تفسير حرفي للنصوص..

ولنا فى ذلك تفصيل نأمل إلا يكون مملاً.

كان الخوارج ممن يأخذون بالتفسير النصى للقرآن، فلما عرضت عليهم الآية الكريمة التى تقول علي لسان نوح عليه السلام «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» فأفتوا بقتل الرجال .. والنساء وكذلك الأطفال حتى لا يشبوا كافرين، ويلدوا كفاراً مثلهم.

وأما الآية الكريمة: « فقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين» فأخذوا يعذبون خصومهم ويعملون فيهم القتل ويتمتعون بذلك.. إستناداً إلى فهمهم النصى الخاطئ.

ولنا أن نتوقف الآن لنراجع ما يجرى فى الجزائر من مذابح إستناداً إلى هذا الفهم الخاطئ.

ويروى إبن حزم أن الصحابى الجليل عبد الله بن خباب كان يمضى هو وزوجته فى طريق به جماعة من الخوارج.. فعلق المصحف فى عنقه، فأمسك به الخوارج وقالوا: إن الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك، فقال كيف؟ فقالوا له ما قولك فى أبى بكر؟ قال: خيراً. و ما قولك فى عمر؟ قال: خيراً. ثم قالوا ما قولك فى على وقبوله التحكيم؟ قال: على أعلم منى ومنكم بالقرآن.. فذبحوه» ويمضى إبن حزم قائلا «وكان إلى جوارهم

ضيعة صغيرة لأحد النصارى فقالوا لصاحبها: بعنا بعضاً من تمر، قال خذوه بلا ثمن، قالوا: ديننا ينهانا عن ذلك . فقال لهم: أتقتلون إبن خُباب وتحافظون على تمرى؟»[٦] وكان النصرانى محقا فى سؤاله.

وفي ذات الطريق سلك واصل بن عطاء فسأله الخوارج هو وجماعته، من أنتم؟ فقال إبن عطاء: مشركون نستجير بكم.. فقال الخوارج إبتعدوا. فرد عليهم واصل: ألم تسمعوا بالآية الكريمة «فإن أحداً من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله» فأجلسوهم وأسمعوهم كلام الله .. ثم إكمل لهم واصل الآية «ثم أبلغه مأمنه» فأرسلوا معهم حراساً منهم حتى أبلغوهم مأمنهم.

وصارت مثلا لما يمكن أن يؤدى إليه التفسير النصى من خلل، فالذى علق المصحف فى عنقه قتلوه، والذى قال أنه مشرك حرسوه حتى أبلغوه مأمنه.

والجماعات المتأسلمة الحديثة يقوم فقهها على التفسير النصى.. فحسن البنا عندما يتعرض إلى أول خلاف داخل جماعته (إختلف معه بعض إخوانه عندما قبل دعماً مالياً من شركة قناة السويس الاستعمارية .. أمر بالمخالفين فضربوا.. وبرر ذلك مستنداً إلى: «من خرج على الجماعة فإضربوه بحد السيف». والسؤال هو:أى جماعة..؟ هذا هو مصدر التلاعب النصى. جماعته هو، أى تنظيمه، أم جماعة

---

٦ - إبن حزم - الفِصَل.

المسلمين أى مجموع المسلمين؟

.. وشكرى مصطفى أستاذ التشبث بالتفسير النصى.. فالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل» يقول عنها فى كتابه التوسمات «هذا خطاب موجه للمؤمنين فى أول الزمان وفى آخر الزمان، والقوة كما جاء فى الحديث هى الرمى، والخيل هى الخيل فإذا جاء من يقول إن الخيل لا تصلح الآن نقول له عندما نقاتل سيكون قتالنا بالسيف والرمى والخيل».

ويقول: «جاء فى الحديث الشريف الجنة تحت ظلال السيوف فالجنة هى الجنة، والسيف هو السيف ولم يقل الرسول تحت ظلال البنادق»[8]

ونلاحظ أن جماعة (شكرى مصطفى كانت ترفض إستخدام المطبعة باعتبارها عتاد كافر).

وهو يستخدم السيف «لأن وسائل المسلمين وسائل متكررة، والله برحمته وعزته قد برأ الجماعة المسلمة من وسائل الكافرين الجاهلية الحديثة»[9] لكننا نلاحظ أنه إستخدم المسدس وهو من وسائل الكافرين فى إغتيال الشيخ الذهبى.

وشكرى مصطفى يستند إلى الحديث الشريف «قل أعوذ بالله من علم لا ينفع»

ليقول «كانت جماعة محمد تتعلم هذا الدين، لا تتعلمه لمجرد العلم

---

٨ – شكرى مصطفى – التوسمات – مخطوط . ص٥٢.

٩ – المرجع السابق.

ولا نتعلمه للدنيا، ولكن نتعلمه للتطبيق والعمل والعبادة، العلم وسيلة لعباده الله، وكل علم يتعلمه الانسان لغير العبادة فقد تعلمه لنفسه، وتعلمه لغير الله .. وهذا شرك»(١٠)

وبهذا أفتى ان تعلم العلوم الحديثة حرام.

ومن مخاطر التأسلم السياسى ما يسمى بالتفيقة. أي محاولة إعتصار مواقف «دينيه» حول مستجدات دنيوية لم ترد فى أصول الشريعة ولا فى فروعها.

ناسين قول الرسول «أوغلوا فى هذا الدين برفق».

وناسين ان عمر بن الخطاب سئل عما هو «الأب» في الأية الكريمة «وفاكهة وأبا» فقال: لا أعرف «والتفيقة سمة فى كل حركات التأسلم السياسى الحديث وعلى رأسها جماعة الاخوان..

ولا نريد أن نطيل فى ذلك فقط نكتفى بهذه الواقعة : جاء جماعة إلى عبد الله بن عمر وكان من فقهاء عصره فسألوه: ما حكم قتل حشرة الفراش فى الأشهر الحرام، فقال من أى البلاد أنتم؟ قالوا: من الكوفة قال: لعنكم الله أتقتلون الحسين وتسألون عن حشرة الفراش؟.

* * *

ولقد شربت جماعة الاخوان من كل هذه الآبار المريرة المياه، وتكونت عقليتها على هذه الأفكار وتلونت مواقفها وتوجهاتها بألوانها، لكنها أضافت إلى كل ما سبق كأساً أخرى أشد مرارة.هى الخلط بين

---

١٠ –المرجع السابق – ٢٢.

«الدين» كمعطى سماوى وبين «الفكر الدينى» وهو بالضرورة معطى إنسانى. الدين مطلق الصحة، والفكر الدينى نسبى الصحة (لأنه رؤية إنسانية) لكن حسن البنا فعلها. وخلط بين الاثنين خلطاً متعمداً كى يعطى أفكاره قداسة، ويمنحها حصانة ضد النقد .. وضد الانتقاد.

وعندما قدم البنا ما أسماه «عقيدة الجماعة» للمؤتمر الثالث للجماعة (١٩٣٧) أردفها بتأكيد أكد عليه المؤتمر كله يقول فيه «علي كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام وأن كل نقص منه، نقص من الفكرة الاسلامية الصحيحة».(١١)

الأمر الذى دفع الاستاذ طارق البشرى فى كتابه «الحركة السياسية في مصر ٤٥ – ١٩٥٢»، وفى طبعته الأولى، أي قبل أن يغير ما فيها بعد أن تغيرت مواقفه، إلى القول «ان الجماعة بهذا البرنامج تصادر الدين لمصلحتها، وبهذا لا تصبح مجرد جماعة تطبق الدين، وإنما تؤكد أن منهجها هو وحده الاسلام الصحيح، ومن ثم فإن من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا على الإسلام، أنه مبدأ يسعى للسيطرة على الإسلام لا للاتصاف به »(١٢)

ويتمادى عملية الخلط بين «الجماعة» و بين «الإسلام» فيكتب صالح عشماوى أحد قادة الإخوان فى ثقة مثيرة للدهشة «إن أى إضطهاد

---

١١ – حسن البنا – مذكرات الدعوة والدعية – ص١٢٨.

١٢ – طارق البشرى – الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ – الطبعة الأولى – ص١٨٢

للاخوان هو إضطهاد للإسلام ذاته»[١٣]

وعندما قبض عبد الناصر على بعض الاخوان (مارس ١٩٥٤) خطب الاستاذ عبد القادر عوده فى المتظاهرين قائلا: «الاسلام سجين».

والخلط المتعمد بين «الدين» و «فكر الجماعة» .. بين العقيدة والاخوان يقتاد الجماعة بطبيعة الحال إلى «الاستعلاء» على الجميع، وإلى وصم كل خصومها بأنهم ضد الإسلام.. أليس منهجها كله من الإسلام، وكل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية ذاتها؟

بل إن حسن البنا الذي إعتبر نفسه إماماً .. ولم يزل تابعيه وتابعى الجماعة يسمونه بالامام .. يقول ببساطة وبلا أي قدر من التواضع .. «إن الامام هو واسطة العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الافئدة» ثم.«وظل الله فى الأرض» وهكذا وببساطة «ظل الله في الأرض»[١٤]

فإن كان سيادته ظل الله فى الأرض فمن يتجاسر بقول أو بفعل أويموقف يختلف ولو بأقل قدر مع حضرة «ظل الله فى الأرض»؟.

ويسرى ذلك من «الأمام» إلى «الجماعة»، ومن هنا فإن «المسلم» الذى لا ينهج نهج الجماعة ينال من «الامام» سخطاً، وما هو اكثر من السخط:«أتحسب ان المسلم الذى يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة، ويترك الدين والسياسة للعبثة الآثمين يسمى مسلماً؟ كلا أنه ليس بمسلم»[١٥]

---

١٣ – الدعوة – ٢٤ – ٤ – ١٩٥١

١٤ – حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس – ص٤٨

١٥ – الاخوان المسلمون – ٤ –٣ – ١٩٤٥

تأملوا العبارة مسلم يتفرغ للعباده .. انه ليس بمسلم.

ثم يكمل حسن البنا الحلقة لتضيق على أعناقنا فيقول: «لا تحيا الدعوة الا بالجهاد وليس فى الدنيا جهاد بلا تضحية، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم»(١٦).. فإما أن تكون «معه» وإما أن تكون آثماً.

والحقيقة أن البنا قد رفض – من حيث المبدأ – قيام أي حزب سوى حزبه هو، فقد طالب صراحة بحل كل الأحزاب السياسية ثم «قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامى صحيح»(١٧)

* * *

وبعد هذه المقدمة التى نعتبرها ضرورية يمكننا أن نبدأ.

نتطلع نحو عمق بئر التأسلم السياسى هو وروافده سعياً وراء فهم حقيقى لجماعة الأخوان، ، نشأتها، تاريخها، فكرها، ممارستها .. ثم توابعها.

ولأن الجماعة إرتبطت برباط وثيق منذ يومها الاول وحتى الآن بالاستاذ الامام المرشد العام حسن البنا، ولأنه هو نفسه حرص على هذا الرباط فعندما حاول أن يقدم نفسه عبر «مذكرات» أسماها «مذكرات الدعوة والداعية».

ولأن أحداً لايمكنه أن يذكر البنا دون الجماعة، أو الجماعة دون البنا. فلنبدأ بمحاولة نطل فيها على «المؤسس». الاستاذ حسن البنا.

---

١٦ – حسن البنا – دعوتنا فى طور جديد.

١٧ – راجع حسن البنا: مذاكرت الدعوة والداعية.

* * *

*** بطاقة شخصية مطولة:**

الاسم: حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي.

تاريخ الميلاد: أكتوبر ١٩٠٦.

محل الميلاد: المحموديه – بحيره.

مهنه الوالد: مأذون الناحية وإمام مسجد القرية، وقد مارس أيضا مهنة إصلاح الساعات، ومن هنا جاء لقب «الساعاتى».

الاخوه: خمسه، وحسن هو الأكبر بينهم.

وإبتداءً نلاحظ أن كل من تحدث عن طفولة حسن البنا حرص على يضفى عليها هالات تقترب به من القداسة ، وتضفى عليه مسحة من التميز.. وقد أتى ذلك من حسن البنا نفسه ووالده، ومريدوه، ممن كتبوا عن أيامه الاولى..

وعلى أيه حال فإن كانت هذه الهالات صحيحه، أو كانت مبالغاً فيها، أو هى حتى مخترعة فإنها تشى بشئ ما يحيط بالشيخ حسن البنا، أو حاول على الاقل هو وأتباعه أن يحيطوه به..

الأب يروى كيف سقط الطفل «حسن» فى ملطم للمونه، وكانت وفاته محققة، ولكن «ينجيك الله يا ولدى لأمر يدخرك له » وقد «إستيقظت أمه وهو طفل لتجده نائما وبجواره ترقد فى هدوء أفعى ضخمه لم تمسسه بسوء» .«وجمح به فرس بما يؤدى لهلاك أى شخص لكنه نجا من الموت» .. الخ

.. وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره دفع به أبوه إلى كتاب القرية

حيث تتلمذ على يد أزهرى متشدد هو الشيخ محمد زهران.

لكن الطفل غير عادى، أو يتعين أن يبدو كذلك فيما هو محكى عنه ، فالطفل إبن الثامنه لا يقبل بوجود تمثال لامرأة شبة عارية فوق أحد زوارق النهر فى قريته فيلجأ إلى البوليس [وهنا لابد من علامه إستفهام تسأل عن مقدرته فى هذه السن، وأي بوليس فى قرية صغيرة فى مطلع القرن الماضى؟] المهم يلجأ الطفل إلى البوليس ويصمم على إزاله التمثال، وينجح فى ذلك»(١٨)

وفى الثانية عشرة ينتقل حسن البنا إلي المدرسة الابتدائية، حيث إنضم إلى جماعة مدرسية رائدها أحد المدرسين المتدينين «جمعيه السلوك الاجتماعى» وهى جمعية إستهدفت ترويض نفوس أعضائها، ودفعهم للتحلى بالاخلاق الحميدة وتعاليم الدين عامة.وكانت الغرامات المالية المرهقة لتلاميذ فقراء هى سلاح الجمعية فى إرغام أعضائها على الالتزام بتعاليمها..

.. وسريعا ما يصبح إبن الثانيه عشره، رئيساً لهذه الجمعيه، لكنه سرعان ما يكتشف أنها لا تفى بطموحه الدينى، وتطلعاته الأكثر شمولاً.. فيؤسس وهو فى هذه السن [وهنا علامه إستفهام أخرى] جمعية جديدة أسميت «جماعة النهى عن المنكر» كانت تستهدف [منذ هذا السن المبكر] إرهاب السكان وإرغامهم على الالتزام بتعاليم الدين

---

١٨ – المصور – ٢٩ – ٨ –١٩٥٢ – مقال بقلم [والد حسن البنا] الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، وقد أورد فيه العديد من الروايات المماثلة.

عن طريق إرسال خطابات تهديد إلى من ترى أنهم لا يلتزمون بهذه التعاليم.

.. ولكن الأمر لا يستمر طويلا، ويصعد الصبى إلى سن الثالثة عشرة ومعها ينتمى إلى جماعة إسمها «إخوان الحصافيه» وهى جمعية صوفية، جذبت الفتى إلى حلقات الذكر حيث وقف يهتز فى هذه الحلقات وسط رجال يكبرونه سناً.

وفى حلقات الذكر يلتقى بشريكه الأول فى كل ما فعل فيما بعد، ثم خصمه اللدود فيما بعد أيضا.. أحمد السكرى وإكتشف الاثنان معاً أن «التطوح» فى حلقات الذكر ليس بكاف لطموحهم الدينى، ومرة أخرى يؤسس التلميذان جمعية جديدة هى «جمعية الحصافيه» ظلت تعتبر نفسها إمتداداً للجماعة الكبيره «إخوان الحصافية» لكنها تتميز عنها بالعمل الجدى المباشر، مستهدفة الحفاظ على تعاليم الدين، ومواجهة موجة التبشير المريبة التى تسللت إلى مصر فى ذلك الحين، مثيرة، أو مستثيره مشاعر العديد من المسلمين. ومرة أخرى يترأس الفتي إبن الثالثه عشره جمعية ذات طابع دينى وتستهدف العمل المباشر لتحقيق أهدافها.

.. هما مجرد عامان تنقل فيهما الفتي سريعا من «جماعه السلوك الاجتماعى» الى «النهى عن المنكر» عبر خطابات تهديد للمخالفين، ثم الي جماعه صوفيه ومنها إلى جماعه للعمل المباشر..

وعام آخر ويصبح الفتى طالباً بمدرسة المعلمين الأوليه في دمنهور حيث ينغمس إلي مدى أعمق فى نشاطه الدينى، ويرتاد حلقات ذكر

الحصافيين ليصبح فى عام ١٩٢٢عضواً عاملا .. أخذ العهد على شيخهم..

ويجهر الفتي بتميزه الدينى عن تلاميذ مدرسته، فيرتدى لبعض الوقت عباءة بيضاء وعمامة ذات نؤابة وهو زى الحصافيين المتشددين، لكنه لا يلبث ان يعود إلى زيه العادى بعد حين.

.. وخلال قراءاته الدينيه إصطدم الفتى بأول عقبة حقيقية. فقد طالع كتاب أبو حامد الغزالى «إحياء علوم الدين» حيث صدمته مواقف الغزالى التى تقول ان التعليم [بالنسبة لغير الفقهاء] يجب أن يقتصر علي ما هو ضرورى «لتحقيق الواجبات الدينية وإكتساب الرزق». ويتوقف الفتى فى حيرة من أمره، هل يواصل تعليمه مخالفاً رؤيه الامام الغزالي، أم يتوقف عن مواصلة التعليم؟

لكنه يغلب المصلحة، ويواصل التعليم وينجز دراسته فى مدرسة المعلمين الاوليه، التى أسلمته بدورها إلى «دار العلوم» ليلتحق بها عام ١٩٢٣.

هكذا يصل الفتى الذي عمد نفسه، أو عمده بعض مريديه شيخاً عليهم منذ طفولته، يصل الى القاهرة .. وأية قاهرة، إنها قاهرة العشرينات التي كانت تموج بصراعات حزبية، وموجات ليبرالية، ونزعات علمانية، وكانت الثورة الكماليه فى تركيا تلهم الكثيرين بالمزيد من الشجاعة فى نزعاتهم التجديدية والليبرالية والعقلانية.. ورأي الفتى الشيخ فى ذلك كله إضعافاً لشأن الدين. جفل الشاب وإنتحى هو ومن والاه من أصدقائه جانباً، وإغترب عن حياة المدينة الصاخبة. ويسجل حسن البنا هذه الفترة قائلا.. «والله وحده يعلم كم أمضينا من ليال

لبحث حال الامة، نحلل العلة، ونفكر في وسائل العلاج الممكنة ، ولقد بلغ بنا القلق درجه أوصلتنا إلى حد البكاء»[19]

إنها الغربة التى تقود الفتى من جديد إلى الصوفية، فيعود إلى ولائه «لاخوان الحصافيه» وينصت طويلا إلى محاضرات «جمعيه مكارم الاخلاق الاسلامية».

وهنا تبدأ القناعة الحقيقية لحسن البنا فى تبلورها، لقد إكتشف أن «تطوحه» في حلقات الذكر ، وإنصاته إلى محاضرات جمعية مكارم الاخلاق.. لا تغير شيئا مما يجرى حوله فى هذه المدينة الصاخبة، وأيقن حسن البنا أن «المسجد وحده لا يكفي، فلابد من رجال يهبون حياتهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» وكون مع عدد من زملائه «جماعة» يمكن إعتبارها النواة الاولى لجماعة «الاخوان المسلمين»، كانوا يخطبون في المساجد والتجمعات الشعبية.

وقد حدد البنا لنفسه ولجماعته هدفاً .. هو محاوله سد الهوة التى تفصل بين الانسان المنغمس فى هموم حياته اليومية، وبين صحيح الدين وتعاليمه، ومحاولة حث المسلم على أن يكيف حياته، وأن يخضعها فى كل تفاصيلها لهذه التعاليم.

لكن القاهرة لم تكن عبئاً فقط ، ففيها وجد المشوره والنصح ممن هم أكبر منه سناً، وأكثر خبرةً..

فتعرف فى المكتبة السلفية على مديرها محيى الدين الخطيب، وعن

---

١٩ - حسن البنا - رسالة المؤتمر الخامس. ص٧.

طريقه تعرف على الشيخ رشيد رضا وأحمد فريد وجدى وأحمد تيمور ..
وجرت مناقشات عديدة حول كيفيه العمل من أجل الاسلام..

والتقى بالعديد من مشايخ الازهر فلم يعجبه منهم إستسلامهم أمام ما يجرى من أحداث،

فما هو السبيل للتصدى لما يجرى حوله؟. ولم يجد الفتى إجابة شافية.. لا عند من قابلهم فى صحبه الشيخ محيى الدين الخطيب، ولا عند الموظفين الدينيين.

ويسجل حسن البنا حيرته وطموحه معا.. كتابةً.

ففى السنه النهائيه بدار العلوم طُلب إليه كتابة مقال مدرسى موضوعه «تحدث عن الآمال الكبيره التى تراودك بعد إتمام دراستك، وبين كيف ستعد نفسك لتحقيق هذه الآمال»

قال حسن البنا فى إجابته «إن أفضل الناس هم أولئك الذين يحققون سعادتهم بتوفير السعادة للآخرين وبإسداء المشورة لهم»

وقال فى مرارة «إننى أعتقد أن شعبى قد إبتعد عن أهداف إيمانه نتيجة للمراحل السياسية التى مر بها، والتأثيرات الاجتماعية التى تعرض لها، وتحت تأثير الحضارة الغربية.. والفلسفة المادية والتقاليد الافرنجية»

وحدد الشيخ طموحه بأن يكون ناصحاً ومعلماً، وأن يكرس نفسه لتعليم الاطفال نهاراً، وآبائهم ليلا.. ويختتم مقاله قائلا «هذا عهد بينى وبين ربى».

بهذه الروح .وهذا المنطلق تخرج الطالب حسن أحمد عبد الرحمن البنا من دار العلوم

عام ١٩٢٧، وعين مدرساً إبتدائياً بمدينة الاسماعيلية.

ويهذا .. نصل إلى نقطه البدايه، الفتى.. أصبح مدرساً، وأصبح مدركا لما يريد أن يفعل..

وقرر أن يبدأ*

* * *

وكانت سنوات ما قبل القرن العشرين ، هى سنوات الحيرة بالنسبة لمصر، فقد وقفت حيرى أمام مفترق طرق كل منها يبدو شاقاً ومغرياً فى آن واحد.

---

* لمزيد من التفاصيل عن نشأة وحياة حسن البنا يمكن الرجوع الى المصادر الآتية مع العلم بأنها تتضمن معلومات متقاربة نظراً لأنها تأخذ فى الاغلب عن مصدر واحد..

- حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية.
- موسى إسحق الحسينى - الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة.
- مجلة الدعوة - [الأعدادالصادرة فى ذكرى وفاة حسن البنا] ١٢ -٢ -١٩٥١، ١٢ -٢ -١٩٥٢ ، ١٠- -٢ -١٩٥٣، ١٦ -٢-١٩٥٤.
- المصور - ٢٩ - ٨ - ١٩٥٢، مقال أحمد عبد الرحمن البنا.
- أنور الجندى - قائد الدعوة : حياه رجل وتاريخ مدرسة.
- أحمد أنس الحجاجى - روح وريحان.
- محمد حبيب أحمد - نهضة الشعوب الاسلاميه في العصر الحديث.
- عبد الخبير الخولى - قائد الدعوه الاسلاميه، حسن البنا.

-Mitchel,R. - The Society of muslim Brothers.

- Khaduri, M. - political trends in Arab world.

فالخلافة الاسلامية تتهاوى، والتحكم التركى المغلف بعباءة الخليفة، أمير المؤمنين ، حامى حمى الاسلام، خاقان البرين والبحرين.. الخ هذا التحكم يرحل، ليحل محله تحكم إستعمارى إنجليزى.

وتحاول مصر أن ترفض الانصياع للتحكم التركى فى مواجهة رفض إسلامى متشدد يعلن على لسان الشيخ عبد العزيز جاويش أن «إنكار الخلافه تضييع للذات». ويرد محمد فريد عليه قائلا «إن حبه للدوله العثمانية أدى به إلى نسيان مصر وحقوقها، فقد أصبح يقول إن مصر للمسلمين لا للمصريين».

ويقول «إن جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية فى الاسلام، وقد قال أخيراً فى برلين لأحمد بك ان يقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية، قائلا انه لا وطنية فى الاسلام»[٢٠]

وقد إستمر «دعاه الاسلاميه» يتشبثون بالخلافة، وبدولتها ناسين - كما يؤكد أحد الباحثين – ان ضعف الخلافة العثمانية ثم إنهيارها «قد دمر الأسس الواقعية والجغرافية للجامعة الاسلامية، وشجع النزعات الوطنية والقومية»[٢١].

وهكذا يرتفع شعار «مصر للمصريين» برغم مقاومة «إسلامية» ضعيفة. ولكن السؤال الأكثر إلحاحاً يبقى «مصر للمصريين نعم.. ولكن إلى أين؟».

---

٢٠ – محمد صبيح – مواقف حاسمه فى تاريخ القومية العربية – ص٢٨٩

[نقلا عن مذكرات محمد فريد الخطية].

21 - Berger,M. - The ARAB world today.(1964) P318.

وكانت الليبرالية والاتجاهات العقلانية والعلمانية تحاول جهد إستطاعتها أن تشق لمصر طريقاً فى مواجهة صعاب حقيقية..

فمصر كانت تعيش فى حاله من التخلف الفكرى العميق الجذور.. إلى درجة أن مفكراً مثل رفاعة الطهطاوى لم يستطع ان يذكر «إحتمال» أن تكون الارض كروية إلا منسوباً إلى فتوى لعالم إسلامى فى «تمبكتو».

.. لكن الأمر إختلف فى نهايات القرن التاسع عشر، ولم يعد التيار العقلانى بقادر على إحتمال إنكار العلم والعقل، فيكتب يعقوب صروف «إن موضوع دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس صار أشهر من نار على علم، وأوضح من الصبح لذى عينين، وتحققت صحته لكل ذى عقل سليم يطالع ويفهم»[٢٢]

.. وعندما ينهمر السيل فإنه من الصعب أن يوقف..

ويتجاسر شبلى شميل فيصدر كتابه «فلسفة النشوء والارتقاء»

وتحدث «رجة» عنيفة وتكال التهم لشبلى شميل الذى يتقبلها هادئا.. معلناً «ان هذه الرجة التى حصلت اليوم هى المقصودة منى لايقاظ الافكار من نومها العميق، والحركة مهما كانت خير من السكون»[٢٣]

ويحاول شميل أن يستميل الناس تجاه العقل فيخاطب قارئه قائلا «إليك أكتب أيها القارئ العاقل، العاقل المتأمل، وما أطلب منك علماً

---

٢٢ – المقتطف – مجموعة عام ١٨٧٦ .

٢٣ – د. شبلى شميل – فلسفة النشوء والارتقاء – مقدمة الطبعة الثانية – مطبعة المقتطف (١٩١٠) المقدمة ص د

واسعاً وفلسفة بديعة وحكمة عميقة، بل أطلب منك عقلا حلت قيوده، وتفتحت منافذه، وأقام التفكير مقام الاعتقاد، والبحث مقام المقرر، يقدر مستنتجات العلم قدرها، ولا يبخس منتجات العقل حقها»[٢٤]

.. ويشتد الهجوم علي الرجل . ويأتى الهجوم على الاغلب من المحافظين ورجال الدين، لكن الرجل لا يتراجع معلنا «لست أخشى تخطئه الناس لى إذا كنت أعرفنى مصيباً، ولا يسرنى تصويبهم لى إذا كنت أعرفننى مخطئاً» وفى مواجهة الهجوم المتصاعد يعلن شميل بوضوح «نعم إن القول بمذهب النشوء يستلزم بالضرورة القول بمادية الكون»[٢٥]

.. ولم يكن شبلى شميل وحده. كان هناك رعيل متكامل .. فرح أنطون ومجلته الموسوعية «الجامعة»، وسلامه موسى، مصطفى حسنين المنصورى صاحب أول كتاب مصرى وربما عربى وافريقى عن الاشتراكية..

ويتصدى المحافظون ورجال الدين لهذه النزعة.

يتصدون لها فى ظل مناخ يميل إليهم هم، وإلى مقولاتهم، ويميل إلى إتهام كل نزعة تجديد بالكفر والالحاد .. مناخ أرهق دعاه التجديد، حتى أيامنا هذه، ودفع كاتباً جليلا هو الشيخ محمود الشرقاوى لأن يكتب «أى شقاء فكرى وروحى يجده دعاة التقدمية الفكرية فى عالمنا العربى

---

٢٤ – مجلة البصير – مجموعة ١٨٧٨ – شبلى شميل مقال «القضاء على القضاء»

٢٥ – شبلى شميل – فلسفة النشوء والارتقاء – المرجع السابق – ص٢٧

عندما يرون في بعض الكتب التي يطالعها الناس ويتناقلون ما فيها.. إن «نوحاً» بنى سفينة من عظام حيوان يبلغ طوله مساحة ما بين السماء والارض، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل؟ وأى شقاء للروح والعقل أكثر من أن يقرأ دعاة التقدمية في الفكر الديني ما يقرأه الناس في كتاب من كتب التفسير* إن ياجوج وماجوج أمة، وكل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح، وهم من ولد آدم، يسيرون في خراب الارض.. وهم ثلاثة أصناف : صنف مثل شجرة الارز، وصنف طوله وعرضه سواء، عشرون ومائة، وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد، وصنف منهم يفرش إحدى أذنيه ويلتحف بالاخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم في الشام وساقتهم في خراسان، يشربون آبار الارض وبحيرة طبريا.. »(٢٦)

في ظل هذا المناخ قامت المعركه.. ويتصدى رجال الدين بعنف بالغ لدعاة العقل والعلم، عنف يستدعي رداً من الشيخ محمد عبده يقول:

ولكنه دين أردت صلاحه

أحاذر أن تقضي عليه العمائم

.. ويرد العقلانيون علي الهجوم بهجوم مضاد، عنيف.

.. ونقرأ عبارات لشملي شميل تقول «فترى مما تقدم ان الدين نفسه

---

* - تفسير الخطيب الشربيني - جـ٢ - ص٣٢٨.

٢٦ - مجلة الهلال - مجموعة عام ١٩٦٨ - مقال الشيخ محمود الشروقاي «محنه الفكر التقدمي في مصر».

ليس عقبة في سبيل العمران، بل رجال الدين أنفسهم»[٢٧] ويقول «ولكن الاديان تتحول من النفع العام حتى تصير وسائل للكسب في يد أولئك الذين إتخذوها تجارة لجذب الدنيا ولو بالقضاء على الانسان» وهو يصب هجومه ضد «رؤساء الاديان من كل دين وملة، الذين علموا الناس غير ما تأمرهم به الأديان، وكم قاموا يبيعون دينهم بدانق وفرطوا بمال الايتام، وكم خدموا به أغراض عتاة حكامهم ليقتسموا معهم، ولو داسوا الدين بالاقدام»[٢٨]

ولا يقف شميل وحده في المعركه بل يسانده كاتب وشاعر ملهم هو ولي الدين يكن.. الذي يصف رجال الدين بانهم « لا يرغبهم في الشورى شئ مما هم منقطعون إليه، فهم يحبون أن يظلوا متحكمين في الرقاب وأن يبقوا عيالا علي الامة، وأن يلثم الناس أيديهم ويملأوا أكياسهم»[٢٩]

بل هو يصيح بأعلي صوته « يا أيها المسلمون.. أنا مسلم مثلكم .. يحزنني خسرانكم، ويشركني معكم مصرعكم، إن هؤلاء الرجال الذين أثقلت هاماتهم العمائم أكثرهم لا يعقلون.. كان السلطان عبد الحميد يقتل الناس وينفيهم وينهب الخزائن.. وكل هذا حرام في دينكم فما قام في وجهه واحدٍ منهم ناصحاً أو رادعاً، ولكنهم اليوم وقد وسعتهم بلاد الحرية يكرهون أن يروا حراً يتكلم، فهم يهاجمون كل من لايكون من

---

٢٧ – شبلي شميل – مجموعة الاعمال –جـ٢ – ص٦٢.

٢٨ – الاخبار – مجموعة عام ١٩٠٩ – مقال : ضحايا الجهل.

٢٩ – ولي الدين يكن – المعلوم والمجهول – جـ ٢ ص١٥٩.

فريقهم، يملأون الدنيا صخباً وضجة ، يكفرون الساعل ، والماخط، والآكل والشارب ، حتى لقد زهدونا بالحياة وهم أشد الناس بها تعلقاً، فلا تجعلوا لهم سلطاناً عليكم فيكسبوا من خسرانكم ويسعدوا بشقائكم وأنتم لا تعلمون»(٣٠)

ويصل الحد بالمعركه إلى الدرجة التى دفعت شبلى شميل إلى أن يقول يوماً «لو قامت الانسانية في كل الدنيا ونسرت لحم رؤساء الاديان - الذين هم وحدهم المسئولون عن كل الفظائع التى إرتكبت ولا تزال ترتكب باسم الدين - نسرة نسرة لما وفت حق الانتقام لما جنوه اليوم علي الانسان»(٣١)

ولم يكن بإمكان معركة كهذه أن تستمر بمثل هذه الضراوه .. طويلا.

وأخيراً أن للمعركة أن تتوقف.

لقد أنجبت مصر من إستطاع أن يوقفها.. من إستطاع أن يوفق بين العلم والدين، بين العقل والايمان.. الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده.

ورفع الشيخ محمد عبده لواء العقل مؤكداً أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل، ولابد من إجتهاد يعتمد على الدين وعلى العقل معاً حتى يستطيع المسلمون أن يواجهوا الاوضاع الجديدة فى المدنية الحديثة مقتبسين منها ما يفيد وينفع، وإذا كان المسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة، فلابد لهم أن يتسلحوا بما

---

٣٠ - ولى الدين يكن - التجاريب - ص٢٣.

٣١ - الاخبار [مجموعة عام ١٩٠٩] مقال لشبلى شميل بعنوان «ضحايا الجهل».

يتسلح به غيرهم، وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم»[٣٢]

ويبدأ الشيخ الامام محمد عبده معركته بتجريد رجال الدين من كهنوتهم الذي يحاولون أن يفرضوه علي البشر فيقول «ليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة، والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر، وهى سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لاعلاهم يتناول بها أدناهم»

.. وكان محمد عبده مفتياً، ولكنه لم يقبع فى بيته منتظراً سائلى الافتاء ، بل تقدم فى عبقرية وشجاعة محاولا أن يرسى دعائم فهم جديد للعلاقة بين الدين ومتطلبات الحياة.وكانت الحياة تلح بأسئلة عدة عن مدى تحريم أو عدم تحريم كثير من مستحدثات العصر إبتداء من التصوير الفوتوغرافى إلى التأمين على الحياة، إلى النظام المصرفى الخ.

ولقد رسم محمد عبده طريقاً جديداً.. يصعب أن نوفيه حقه من البحث بشكل جانبى ويتعجل، لكننا سنكتفى بعبارات لعلها تقدم صورة كافية عن مدى التقدم الذى أحرزته علاقة الدين بالحياة على يديه..

محمد عبده يقول « إن الاسلام لم يتعارض، ولا يمكن ان يتعارض مع العلم، فالعلم مثله مثل العقيدة يكشف للناس أسرار الطبيعة».

ويقول «إن سر تفوق أوربا يكمن فى تفوقها فى مضمار البحث

---

٣٢ – الاخبار – ٢٧ – ٢ – ١٩٧٣ – مقال للشيخ أحمد حسن الباقورى بعنوان «هذا الرجل لماذا يظل هدفاً للمهاجمين؟».

العلمي، وإلى تقدم نظم التعليم فيها».

ورفض الاستاذ الامام مبدأ «التقليد» الذى دعى إليه السلفيون ومازالوا يدعون إليه، وقد أكد أن الاسلام لا يمكنه، أن يرسخ أقدامه عبر الزمان إذا ما إستمر معتمداً علي التقليد، وأكد «انه بدون أستخدام العقل سوف يتعذر على المسلمين تحقيق أى تقدم أو تطور »

.. وتعالج فتاوى الاستاذ الامام الكثير من مشكلات العصر.. حتى مشكله الحجاب، إلى الحد الذى راجت فيه شائعات قويه أنه أسهم فى تحرير كتاب «تحرير المرأة» الذى أصدره صديقه الحميم قاسم أمين*

وإذ بلغ محمد عبده القمة، وإذ ينجح فى إسكات صوت المحافظين الرجعيين والسلفيين .. إذ ينجح في إسكات ضجيج معركة مفتعلة ويلزم الجميع الصمت.. يرحل.

وبرحيله يخلو الميدان لدعاة الارتداد من جديد

ويورد د. مجيد خضورى تفاصيل هامة عن معركة نشبت بين تلاميذ الاستاذ الامام ..

ويقول «ان البعض من تلاميذ الامام قد حاول أن يطور تعاليمه ويصل بها الى نهايتها المنطقية، أي أن ينفي دور الاسلام كعقيدة تجاه

---

* لمزيد من التفاصيل عن دور الاستاذ الامام محمد عبده فى تحديث نظرة الاسلام الى العقل والحياه ومتطلباتها راجع:

– رشيد رضا – تاريخ الاستاذ الامام

-ADAMS - ISLAM AND MODRNISM IN EGYPT -

- K hadduri,M.- Political Trends in Arab world.

المجتمع ككل، وأن يحصره تجاه الفرد وضميره ووعيه.

وكان هذا البعض يرى أن الاسلام عقيدة حية ومن ثم يتعين لها أن تتطور بإستمرار، وان النهاية الحتمية لهذا التطور هى علمانية المجتمع الاسلامى».

ويقول خضوري: ان هذه الآراء قد رفضت بشده من جانب المحافظين من مريدى الاستاذ الامام وخاصة هؤلاء الذين كانوا - برغم ولائهم لشيخهم - إلا أنهم كانوا يرون انه قد قدم تنازلات غير ضرورية لصالح المدنية والتطور الحديث، وكان علي رأس هؤلاء المحافظين المتشددين الشيخ رشيد رضا»[٣٣]

.. ها هى معركة التجديد التي قادها الاستاذ الامام تحاصر..

ويطبق عليها الخصوم من ناحيتين.

- التقليديون والمحافظون السلفيون الذين طالما هاجمهم الامام وهاجموه..

- المحافظون من أتباع الامام من أمثال الشيخ رشيد رضا وتلاميذه..

وعلى يد رشيد رضا وتلاميذه تبدأ أخطر معارك الارتداد السلفى فى تاريخ مصر الحديث..

* * *

وقد خاض رشيد رضا معركه مزدوجه الاهداف.. ضد مشايخ الازهر ذوى النزعة السلفية فى التقليد، وضد دعاة التفرنج والتجديد.. وكان يخوض المعركتين معا، وبنفس الحدة..

---

33 - Khadduri - Ibid - p 65

وفي كتاب «الخلافه أو الأمامه العظمى» يهاجم رشيد رضا الشيوخ «الذين إزوروا إلى زوايا مساجدهم أو جحور بيوتهم، ودعاة التفرنج، ذلك انه من الجنون أن نسعى إلى إنتزاع مقومات الامة الاسلامية الدينية والتاريخية، وإستبدال مقومات أمة أخرى ومشخصاتها بها»

ورويداً رويداً يتخلص رشيد رضا من تعاليم شيخه وإمامه، بل ويقترب كثيراً من معسكر خصوم الامام، ولا يلبث رشيد رضا أن يعلن ان الامل والعمل والجهد يتركز فى شئ واحد هو « الخلافة الاسلامية فهي الحكومة المثلى التى بدونها لا يمكن أن يتحسن حال البشرية»[٢٤]

بل إن «الدوله الاسلاميه الاصلية هى فى الواقع خير الدول ليس بالنسبة للمسلمين فحسب ولكن بالنسبة لسائر البشر»[٢٥]

ثم يواصل رضا تناقضه الحاد مع تعاليم الامام عندما يؤكد أن السيادة المطلقة فى الدولة الاسلامية «هى لأولى الامر الذين أمر الله بطاعتهم»[٢٦]

ويأتى حسن البنا فى هذا المناخ ليعلن «نحن سلفيون من أتباع الشيخ رشيد رضا»

فماذا كان حسن البنا يعنى عندما يقول «نحن سلفيون»؟ يفسر ألبرت حورانى الامر قائلا « إذا كان التاريخ هو ما تعيه ذاكرة الانسان

---

٣٤ - رشيد رضا - الخلافه أو الامامه العظمى - مطبعة المنار بمصر (١٣٤١هـ) - ص١١٦.

٣٥ - المرجع السابق - ص١٢٨.

٣٦ - رشيد رضا - كتاب الوحى - ص٢٢٩.

عن الماضى، فإن هذا الماضى يظل بالنسبة للبعض أملا يتعين الارتداد إليه، وبالنسبة لبعض المسلمين سيظل العصر الاسلامي الأول صورة وحيدة لما يجب أن يكون عليه العالم»(٣٧)

.. وإذا كنا نقول ان الافغانى كان بداية سلم التجديد فى الاسلام وان محمد عبده كان قمته وان رشيد رضا كان بداية الارتداد الحديث.فان حسن البنا ومن موقع متعال علي الجميع يقول« الافغانى كان يرى المشكلات ويحذر منها، وكان محمد عبده يعلم ويفكر، ورشيد رضا يكتب أبحاثا» وهم جميعا «مصلحين دينيين واخلاقيين يفتقدون الرؤية الاسلامية الشاملة»(٣٨)

بينما يتفوق أحد تلاميذ البنا على أستاذة فى عدم التواضع فيقول «الافغانى كان مجرد مؤذن، ورشيد رضا هو مجرد مؤرخ ..أما المرشد فهو «بنا»(٣٩)

ويميز تلميذ آخر لحسن البنا شيخه على هؤلاء جميعا معلنا أن دعوة حسن البنا تتميز عن غيرها «بأنها تعنى الجهاد والنضال والعمل وانها ليست مجرد رساله فلسفيه»(٤٠)

.. نحن إذن أمام حاله تصف أصحابها بأنهم سلفيون من أتباع

---

37 - Hourani,Albert - ArabicThought in the Liberal age - p.80

٣٨ – حسن البنا – منكرات الدعوة والداعية – المرجع السابق – ص٥٨

٣٩ – الدعوه – ٢٠ – ٢ – ١٩٥١

٤٠ – أحمد أنس الحجاجى – الرجل الذى أشعل الثوره (١٩٥٢) – ص٤٣.

رشيد رضا، بل هم أشد سلفيه من رشيد رضا، وهم أيضا ليسوا مجرد دعوة فلسفية بل جماعة جهاد ونضال وعمل..

وبهذا نقف علي عتبات «الاخوان المسلمين»

فكيف كان الارتداد الذى أراده وأداره حسن البنا؟ وإلى أين وصل بأصحابه، وكيف أوجد نفسه فى التطبيق العملى؟..

كانت مصر تقترب من نهاية العشرينيات، حيث الأزمة الاقتصادية العالمية التى أصابت العالم الرأسمالى، بل والنموذج الرأسمالى كله بالدوار، وحيث تجربة الاستقلال المصرى تتعثر، وتجربة الحكم الدستورى تواجهها عقبات جسيمة.. وأمام كل هذا الاحباط برزت الاسلامية» كمخرج. ولم تكن مصادفة أن يشهد عام ١٩٢٨ تحديداً مولد جماعتين «الاخوان المسلمين» و «جماعة الشباب الحر أنصار المعاهدة» التى أصبحت فيما بعد «مصر الفتاة»

وفى هذه الاثناء تخرج الشيخ الشاب من دار العلوم، وعين مدرساً فى الاسماعيليه، وفى ١٩ سبتمبر ١٩٢٧ يبدأ العام الدراسى .. وتبدأ رحله الشيخ ليجتذب أنصاراً .. ومن سته من المريدين تأسست الشعبة الأولى لجماعة الاخوان..

ويحدد الشيخ الشاب أسهم إتجاهه، فيقرر أن يتجه بدعوته إلى :

العلماء – مشايخ الطرق الصوفية – علية القوم – النوادى[٤١]

وتجمع الرجال السته ليخاطبوا الشيخ فى تواضع، ويتباهى الشيخ بما قالوه إلى الدرجة التي دفعته إلى أن يسجله حرفياً فى مذكرات

٤١– حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – ص٢٢

الدعوه والداعية «إنا لنشعر بالعجز عن تفهم الطريق إلى العمل كما تفهمه أنت، ولا نعرف الطريق إلى خدمة الوطن والدين والأمه كما تعرفه أنت، وكل ما نرغب فيه الآن هو أن نقدم لك كل ما نملكه حتى نصبح فى حل من المسؤلية أمام الله، ولكى تصبح أنت مسؤلاً أمامه عما يجب أن نقوم به» (٤٢)

* * *

وبدأت رحله جماعة الاخوان المسلمين..

بطاقة شخصيه.. للجماعه:

* الاسم: قال حسن البنا لاتباعه «نحن إخوة فى الاسلام ومن ثم فنحن «الاخوان المسلمون»(٤٣)

* تاريخ الميلاد: شهر ذى القعده عام ١٣٤٧ هجريه [ويلاحظ أن حسن البنا أورد التاريخ الميلادى المرادف له «مارس ١٩٢٨»، لكن روزنتال في مقال «الاخوان المسلمون فى مصر» المنشور فى مجله عالم الاسلام اكتوبر ١٩٤٧ إكتشف من مقارنه التقويمين أن ذى القعدة ١٣٤٧ هـ يوافق إبريل – مايو ١٩٢٩. ونلاحظ أن الجماعه قد إحتفلت بعيد تأسيسها العاشر في يناير ١٩٢٩ لكنها عادت فاحتفلت بعيدها العشرين فى سبتمبر ١٩٤٨]

* الهيكل القيادى: مكتب الارشاد، ويعمل تحت إمره المرشد العام –

---

٤٢ – المرجع السابق – ص٧٣

٤٣ – موسى إسحق الحسينى – الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثه – ص١٧.

وهو بمثابة مجلس الشورى. لكن صالح عشماوى أحد قادة الجماعة يقول وهو يمتدح المرشد «عند أول عهدى بعضوية مكتب الارشاد ثار البحث هل الشورى في الاسلام ملزمه أم غير ملزمه؟ أى هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأى مكتب الارشاد، أم إن المكتب هيئة إستشارية له أن يأخذ برأيها أو يخالفه إن شاء .. وكان رأى المرشد ان الشورى غير ملزمه، وأن من حقه مخالفة رأى المكتب»[٤٤] .. مره أخرى كتب عشماوى ذلك مادحاً وليس ناقداً.

* محل الميلاد: الاسماعيليه.

* الحاله الماليه: أول تبرع مالي تلقته الجماعه كان من شركه قناه السويس [الفرنسية]

وقد أكد حسن البنا ذلك وقال إن التبرع كان خمسمائة جنيه وهو مبلغ كبير بمقياس هذا العصر[٤٥] وعند حل الجماعة عام ١٩٤٨ إتضح انها كانت أغنى الجمعيات والاحزاب السياسية فى مصر.

* طبيعه الجماعه: حرص البنا على أن يضفى صبغة ضبابية علي الجماعة وألا يقدم تفسيراً واضحاً لأهدافها أو طبيعتها حتى يوائم بينها وبين تقلبات الاحوال.

قال البنا «أيها الاخوان: أنتم لستم جمعيه خيرية، ولا حزبا سياسياً، ولاهيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب الامه»[٤٦] .. عباره مطاطه لا يمكن الامساك بأى من أطرافها..

---

٤٤ – الدعوة -١٢ -٢ -١٩٥٢ – مقال لصالح عشماوى

٤٥ – حسن البنا – مذكرات الدعوه والداعية – ص٩٦.

٤٦ – حسن البنا – بين الامس واليوم – ص٢١

* **البرنامج: لا يوجد..**

سئل البنا عن البرنامج فقال «ولم البرنامج انه يفرقنا».. واكتفى بعبارة عامة «القرآن دستورنا والرسول زعيمنا».

ولقد ظل البنا فى بداية الامر ينكر ان لجماعته علاقه بالسياسه، لكنه ما أن قوى عود جماعته حتى أعلن على صفحات مجله النذير أن الجماعة سوف «تنتقل من دعوه الكلام وحده، إلى دعوه الكلام المصحوب بالنضال والاعمال» وتوجه إلى أتباعه متحدثا عن السياسيين جميعا قائلا «ستخاصمون هؤلاء جميعا في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة ان لم يستجيبوا لكم»[47]

ولم يلبث البنا أن صارح الجميع بهدفه الاساسى، وهو أنه يطمح إلى الحكم ليقيم دولة دينية وقال «الاسلام الذى يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد .. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول .. فالاسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء»[48]

وأيضا.. « الذين يقولون ان تعاليم الاسلام إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون.. فالاسلام عبادة وقيادة، ودين دولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، ومصحف وسيف، لا ينفك أحدها عن الآخر»[49]

---

٤٧ – النذير – العدد الاول – مايو ١٩٣٨ – الافتتاحية (بقلم حسن البنا).

٤٨ – حسن البنا – منكرات الدعوة والداعية – ص٢٨٣

٤٩ – المرجع السابق – ص١٥١.

ويغير ذلك لم يقل البنا.. لم يقل ما موقف جماعته من مشكلات الحياة اليومية.. ولا من متطلباتها، ولا من الجديد فيها.. فقط عموميات لا يمكن الامساك بشئ منها..

* العلامات المميزه:

تميزت جماعة الاخوان المسلمين عن غيرها من القوى السياسية المعاصرة بعلامتين مميزتين أساسيتين .. البيعة والجهاز السرى..

أما عن البيعة فقد إستند فيها حسن البنا إلى حديثين شريفين الأول يقول «من مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية» والثانى يقول «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ونازعه فإضربوا عنق الآخر»

وإستند أيضاً إلى اقوال أبو الاعلى المودودى «لا ينتخب للامارة إلامن كان المسلمون يثقون به، وبسيرته، وبطباعه، وبخلقه، فإذا إنتخبوه فهو ولى الأمر المطاع فى حكمه ولا يعصى له أمر ولا نهى»

ويقول إن الأمام أو الامير من حقه أن يملى رأيه حتى على الأغلبية «فالاسلام لا يجعل من كثرة الاصوات ميزاناً للحق والباطل، فإنه من الممكن فى نظر الاسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً من سائر أعضاء المجلس»(٥٠)

وقد بايع الاتباع إمامهم بيعة كاملة في المنشط والمكره، وعاهدوه علي السمع والطاعه..

---

٥٠ – ابو الأعلى المورودى – نظرية الاسلام السياسيه – ص٢٩.

ولم يكن حسن البنا يخفي ذلك على الناس، فهو لم يكن يقبل منهم بأقل من السمع والطاعة، دون نقاش.

«يجب على الاخ أن يعد نفسه إعداداً تاماً ليلبى أمر القائد فى أية ناحية، إن الدعوة تتطلب منا أن نكون جنوداً طائعين بقيادة موحدة، لنا عليها الاستماع للنصيحة، ولها علينا الطاعة، كل الطاعة في المنشط والمكره» [٥١] وأيضا «يتعين على العضو الثقة بالقائد والاخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر» [٥٢]

ويصف البعض ولاء الاتباع قائلين «إن سيطرة البنا على أتباعه كانت مطلقه وكاملة وتصل إلى درجة السحر» [٥٣]

وتصف الامر جريدة مصرية فتقول فى تهكم واضح «إذا عطس المرشد في القاهرة، قال له الاخوان فى أسوان يرحمكم الله» [٥٤] ولقد ترتب على البيعة بمفهوم البنا أنه ليس مسموحاً بالخلاف مع المرشد. بل إن كلمة «ليس مسموحا» هذه ليست أمراً معنوياً فحسب، وإنما كان العنف والارهاب المعلن والتباهى به سبيلا لفرضها.

فمنذ البداية دب الخلاف فى شعبة الاسماعيلية، وحاول البعض التمرد على البنا وأبلغوا النيابة العامة ضده فى مخالفات مالية، فكان رد فعل البنا عنيفاً، فقد جمع عدداً من أتباعه حيث «إعتدوا على المخالفين

---

٥١ – الاخوان المسلمون – (الاسبوعيه). ٢٦ – ١٠ –١٩٤٦

٥٢ – حسن البنا – رسالة التعاليم.

٥٣ – موسى اسحق الحسينى – المرجع السابق – ص٥٤

٥٤ – نقلا عن: ابو الحسن الندوى – مذكرات سائح في الشرق العربي – ص٢٦.

بالضرب».

ويعترف البنا بذلك ويتباهى به ويبرره بأن «المخالفين قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك، وان من يشق عصا الجمع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان» ويتأسف البنا على رفض البعض لضرب المخالفين وردعهم قائلا «اننا قد تأثرنا إلي حد كبير بالنظم المائعه التى يسترونها بالفاظ الديمقراطية والحرية الشخصية»(٥٥).

اما العلامة المميزة الثانية فهى الجهاز السرى الذي مارس عمليات إرهاب وقتل - كانت البداية والنموذج والقدوة للارهاب المتأسلم. وقد تدرج الفكر التنظيمى لحسن البنا فى سلاسه ويسر ليصل إلى هذا الهدف غير المعلن، فبدأ «بالجوالة» بهدف تعويد الاخوان على النظام شبه العسكرى، وتدريبهم علي الطاعة التامة والتفانى المطلق..

ثم كانت «كتائب أنصار الله» وهى مجموعات تضم كل منها أربعين عضواً من الاعضاء النشطين في الجماعة يلتقون معا ليله كل اسبوع حيث يقضون الليل فى العبادة والتلاوة.

.. والعيون اليقظة تتابع ذلك كله لتفرز منه من يصلحون للجهاز الخاص..

ولقد أنكر البنا طويلا أنه يوجد ثمة جهاز خاص، ونفى ذلك نفياً قاطعاً، بل لقد وصف القائمين بأعمال النسف والتفجير والقتل عام ٤٨ - ١٩٤٩ بأنهم «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»

---

٥٥ - حسن البنا - مذكرات الدعوه والداعيه.

.. وظلت الجماعه علي إنكارها لوجود الجهاز الخاص حتى برغم إعترافات عشرات بل مئات من أعضائه أمام محكمة الشعب، وقيل ساعتها أنها أكاذيب أمليت ترددت تحت وطأة التعذيب..

ثم لا تلبث الحقيقة ان تظهر عندما يتنافس رجال الارهاب الاخوانى القدامى في كتابة مذكرات يحاول كل منها أن ينسب إلى نفسه أكبر قدر من القتل والارهاب .. فكانت مذكرات صلاح شادى - أحمد عادل كمال - عبد المنعم عبد الرؤوف - محمود الصباغ. وقد إعترفوا جميعا بأعمال ارهابية بشكل مثير للدهشة، لأنهم تحدثوا في تباه وتمجيد للفعل الارهابى، مؤكدين إنتسابهم الى الجهاز السرى وإلتزامهم بصيغته واهدافه.

* * *

وقد ظل حسن البنا طوال عشر سنوات كامله ينكر أيه صفة سياسية لجماعته ويؤكد فى إلحاح انه لا علاقة له بالسياسة، ولكنه ما أن شعر بالقوه، وبضعف الآخرين حتى جاهر بدوره السياسى:

الدين شئ والسياسه غيره

دعوى نحاربها بكل سلاح

ثم ما لبث أن قال بصراحه «أستطيع أن أجهر بصراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر فى شئون أمته مهتماً بها غيوراً عليها»(٥٦)

---

٥٦ - الاخوان المسلمون - ١٦ - ٤ - ١٩٤٦ - حسن البنا مقال : الاسلام سياسه وحكم.

لكن الامر لا يكون مستقيما أبداً مع الشيخ البنا.

فهو يعود ليغمض القول «هل نحن طريقة صوفية، مؤسسة إجتماعية، حزب سياسى»؟

ويجيب على هذه الاسئلة بالنفى مؤكداً «نحن دعوة القرآن الحق الشامل..»[٥٧]

لكنه لا يلبث أن يعود ليؤكد «إن الاخوان دعوة سلفية، طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة ثقافية، شركه إقتصادية، فكرة إجتماعيه»[٥٨]

متى تستطيع أن تمسك بالزئبق؟ فالشيخ يعود لينفى ما قال «أيها الاخوان أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديد ونور جديد، وصو ت داو»[٥٩]

.. ومع ذلك فإن أحداً لا ينكر أن الاخوان قد تداخلوا فى السياسية، وشاركوا فى غمارها مشاركة كاملة..

وحتي فى المبادئ الجوهرية كان الاخوان يتلاعبون تلاعب السياسيين غير المبدئيين.

فبعد أن يوجه البنا نقداً شديداً للدستور قائلا «إن فيه ما يراه

---

٥٧ - أنور الجندى - الاخوان المسلمون فى ميزان الحق. ص١١

٥٨ - المرجع السابق ص١٥

٥٩ - المرجع السابق - ص٥١

الاخوان مبهماً غامضاً يدع مجالا واسعاً للتأويل والتفسير الذى تمليه الغايات والاهواء»[٦٠]

لكنه يعود فيتراجع تحت ضغط قيل أنه قد أتي من القصر الملكى ليعلن «إن الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن .. وإن ما نحتاج إلى تعديل منه يمكن أن يعدل بالطريقة التى رسمها الدستور ذاته».[٦١]

ويؤكد «و ما كان لجماعة الاخوان المسلمين أن تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر، ولا أن تحاول الطعن فيه.. ما كان لها أن تفعل ذلك وهى جماعة مؤمنة مخلصة تعلم أن إهاجة العامة ثورة، وأن الثورة فتنة، وأن الفتنة فى النار» [٦٢].

ولكن لعبة السياسه عند الشيخ إستمرت على هذا المنوال قول ونقيضه فى آن واحد.. وإن كان الخط الثابت هو المناورة بين الجميع، والتلاعب بالجميع، غير أن الشيخ قد أدرك وإن متأخراً أن الجميع كانوا يتلاعبون به، بينما يتخيل هو انه يتلاعب بهم.

ولعبة السياسة عند الشيخ بلا مبادئ ولن نطيل وسنكتفى باشارات.

– شركة قناة السويس الاستعمارية قدمت له عوناً مالياً وقبله.

– الطاغية إسماعيل صدقى قدم له عوناً مادياً ومعنوياً كبيراً فى

---

٦٠ – حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس.

٦١ – أنور الجندى – المرجع السابق – ص٦٢.

٦٢ –النذير – العدد ٣٣ – حسن البنا – مقال: الاخوان المسلمون والدستور المصرى.

بداية نشأة الجماعة..

- على ماهر داهية القصر والموصوم بعلاقات مريبة خارجية كان الصديق الحميم للجماعة..

-عقد الاخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع خصيصاً للاحتفال باعتلاء «جلاله الملك العرش».

وقام الجوالة بدور المنظم في الاحتفالات الصاخبة بهذه المناسبة(٦٣)

- عندما إختلف النحاس باشا مع الملك وخرج الوفديون فى مظاهرات تهتف «الشعب مع النحاس» فى مقابلها خرجت مظاهرات الاخوان إلى قصر عابدين تهتف « الله مع الملك».

- كتب أحد قادة البوليس تقريرا يقترح «أن تشجع الحكومة الجماعة وتعمل على تعميم فروعها فى البلاد حتى يكون فى ذلك أكبر خدمة للأمن والاصلاح» ويتباهى حسن البنا بذلك ويورده فى مذكراته»(٦٤)

- يقول ريتشارد ميتشل «منذ اكتوبر ١٩٤١ قامت علاقات بين البنا والانجليز»(٦٥)

وتؤكد جريده الاخوان إن إتصالا قد تم مع الانجليز، وان الطرف الانجليزى قد أبدى إستعداده لتقديم عون مالى للجماعه، وتقول أن البنا

---

63 - Mitchill, R. - The society of Muslim Brothers - p 16

٦٤ - حسن البنا - مذكرات الدعوه والداعيه - ص ٨٩.

65 -Mitchill - ibid.

قد رفض ذلك»[٦٦]

ولكن باحثاً آخر يؤكد إستناداً إلى ما أسماه مصدر إخوانى كان على علاقة بالسفارة البريطانيه «ان عونا مالياً كبيراً قد قدم بالفعل، وخاصة فى غضون ١٩٤٧»[٦٧]

ومرة أخرى نقف أمام ظاهرة محيرة: يعترف البنا ان الطاغية اسماعيل صدقى قدم عرضاً بمعاونة مالية، وأن الانجليز قدموا ذات العرض، ويقول انه رفض، حسناً، ولكن لم لا نسأل أنفسنا لماذا هؤلاء بالذات يعرضون مساعدة الجماعة ؟

– وهل ننسى أحداث ١٩٤٦، وخروج الاخوان يهتفون للطاغية إسماعيل صدقى صائحين «واذكر فى الكتاب إسماعيلا»؟

– وهل ننسى تأييد معاهدة صدقى – بيفن؟

ويورد شاهد محايد – صلاح الشاهد – الواقعة التالية «توهم صدقى أن للاخوان قاعدة شعبية ذات وزن فإستدعى المرشد بعد عودته من لندن بساعتين وأطلعه على مشروع إتفاقية صدقى – بيفن قبل ان يطلع عليه النقراشى وهيكل المشاركين له فى الحكم، وحصل على موافقته على المشروع، وعندما تصاعدت المظاهرات الشعبية ضد هذه الاتفاقية طلب صدقى باشا من المرشد أن يركب سيارة سليم زكى

---

٦٦ – الاخوان المسلمون – ٣١ – ٧ – ١٩٤٦

67 - Heyworth Dunne - Religious and political Trends in Egypt.p38 - 41

باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ليعمل على تهدئه الجماهير، وإستجاب المرشد لطلب صدقى باشا»(٦٨)

.. وبهذا نكتفى فى مجال السياسه .. فكل الخطى متشابهه..

* * *

والعنف هو النتيجة المفترضة للخلط المتعمد بين الدين والفكر الدينى.. وبذرته الخبيثة موجوده منذ البدايات الأولى للجماعة..

.. فعندما أصدرت جماعة الاخوان مجلتها النذير، تعجل الشيخ عبد الرحمن الساعاتى[والدالمرشد العام حسن البنا] فى أن يجعلها نذيراً للجميع فكتب فى عددها الأول مقالاً عنوانه « إستعدوا يا جنود» يقول فيه « إستعدوا يا جنود ، وليأخذ كل منكم أهبته، ويعد سلاحه، ولا يلتفت منكم أحد، إمضوا إلى حيث تؤمرون» ثم يقول «خذوا هذه الأمه برفق فما أحوجها إلى العناية والتدليل، وصفوا لها الدواء فكم على ضفاف النيل من قلب يعانى وجسم عليل، إعكفوا على إعداده فى صيدليتكم، ولتقم على إعطائه فرقة الانقاذ منكم، فاذا الامه أبت فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة، وإن وجدتم فى جسمها عضواً خبيثاً فإقطعوه، أو سرطاناً خطيراً فأزيلوه .. إستعدوا ياجنود – فكثير من أبناء هذا الشعب فى آذانهم وقر، وفى عيونهم عمى»(٦٩)

---

٦٨ – صلاح الشاهد – ذكرياتى فى عهدين – ص٤٨

٦٩ – النذير – أول المحرم – ١٣٥٧ هـ.

والعنف هنا مقصود لذاته بل هو السبيل الوحيد، فحسن البنا يقول: «وما كانت القوة إلا كالدواء المر الذى تُحمل عليه الانسانية العابثة المتهالكة حملا ليرد جماحها ويكسر جبروتها وطغيانها، وهكذا كانت نظرية السيف فى الاسلام. لم يكن السيف فى يد المسلم الا كالمشرط فى يد الجراح لحسم الداء الاجتماعى»(٧٠)

بل انهم يعتبرون – وحتى أكثرهم إعتدالا – أن «القتل» سلاح فى العمل السياسى يمكن لآحاد الناس أن يوقعه متى إعتقد انه يقيم الحد.. ويُسال الشيخ محمد الغزالى [أحد أكثر الاخوانيين إعتدالا] فى شهادته أمام المحكمة التى حاكمت قاتل «د.فرج فوده» ويجيب عبر الحوار التالى:

س – من الذى يملك إقامة الحد؟

جـ – المفروض أن جهاز القضاء هو الذى يقوم بهذه المهمه..

س – هل يبقى الحد على أصله من وجوب إقامته؟

جـ – حكم الله لا يلغيه أحد، والحد واجب الإيقاع.

س – ماذا لو أوقعه فرد من آحاد الناس؟

جـ – يعتبر مفتئتا على السلطه، أدى ما ينبغى أن تقوم به السلطه.

س – هل هناك عقوبه للإفتئات على السلطه؟

ج – لا أذكر أية عقوبة فى الاسلام»(٧١)

يقول هذا بقلب بارد لأن فرج فوده بالنسبه له هو النقيض .. العدو،

---

٧٠ – النذير – رمضان – ١٣٥٧ هـ.

٧١ – محضر أقوال الشيخ محمد الغزالى أمام محكمة أمن الدولة فى قضية اغتيال د. فرج فودة.

ناسياً الحديث الشريف « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً » [أخرجه البخارى].

وناسياً روايه المقداد بن الاسود رضى الله عنه إذ قال: «قلت يا رسول الله: أرأيت إذ لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف ثم لاذ مني بشجرة وقال: أسلمت لله، أأقتله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله: لا تقتله، فقلت : إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك؟ فقال النبى: لا تقتله، فإن قتلته كنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته .. أى مباح الدم» [أخرجه البخارى ومسلم وأبو دواد].

وكان فرج فوده يعارضهم بقلمه.. مجرد القلم ولم يقطع لهم يداً ولا أصبعاً، وكان فى كل يوم يقر بإسلامه، وبتمسكه بالاسلام.

ونسى فضيلة الشيخ المعتدل قول أحمد بن حنبل «ومرتكب الكبيرة ليس بكافر، ولا هو في منزلة بين منزلتى الكفر والايمان، كما أنه ليس معفواً عنه، وإنما عليه أن يتوب ، وأمره إلى الله، فإن زعم أحد أنه كافر فقد زعم أن آدم كافر ، وأن إخوه يوسف حين كذبوا أباهم كفار. والحاصل أنه لا يكفر أحد من أهل التوحيد، وإن عمل الكبائر» ولسنا نعتقد أن فرج فوده بإنتقاده لافكار هؤلاء المتأسلمين قد إرتكب كبيرة أو صغيرة، بل لعله كان الأقرب إلى صحيح الاسلام.

فإذا كانت هذه فتوى الأكثر إعتدالاً.. فإن الاعضاء الآخرين كانوا أكثر صراحة .. وربما أكثر عنفاً.

وما من مجال لسرد كل الدعاوى الاخوانيه التى تقرر أن العنف والارهاب هو أساس الدعوة.. وجوهرها، فلقد يحتاج الأمر إلى مجلدات .. فقط أدعو القارئ إلى قراءة الكتب الآتية التى أصدرها قاده بارزون

من الجماعه، بل لعلهم كانوا أبرز القادة الفعليين، فهم قادة الجهاز السرى الذى كرس الارهاب المتأسلم فى مصر.

– أحمد عادل كمال – النقط فوق الحروف ويقول فيه: جماعة دون عنف يحميها .. تهريج.

– صلاح شادى – حصاد العمر [ويورد مئات الوقائع عن إرتكاب أعمال إرهابية].

– عبد المنعم عبد الرؤوف – أرغمت فاروق على التنازل عن العرش [وفيه يؤكد أن الاخوان هم الذين حاولوا إغتيال عبد الناصر فى حادث المنشية ويورد تفاصيل الترتيبات].

– محمود عبد الحليم – الاخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ [وفيه يؤكد أن رئيس الجهاز السرى للاخوان عبد الرحمن السندى هو الذى دبر قتل نائبه سيد فايز ويقول:« وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن هذه الجريمه الأثيمه كانت بتدبير السندى»[٧٢]

وإذ يطالع القارئ هذه الكتب أو حتى واحداً منها سيجد فيضاً من المعلومات والأدله والاعترافات والاتهامات المتبادلة .. تكفى وتزيد لاقناعه بأن جماعة الاخوان كانت المصدر الأساسى للارهاب المتأسلم فى العصر الحديث . ولكن ليأذن لى القارئ ان نتوقف أمام كاتب إخوانى من قاده الجهاز السرى، نتوقف أمامه لأنه الأصرح والأوضح .. وربما الأفدح، إنه الاستاذ محمود الصباغ. ونقرأ:

يبدأ عضو الجهاز الخاص بالبيعه « يدخل إلى حجرة مطفأة الانوار،

---

٧٢ – محمود عبد الحليم – الاخوان السلمون ، أحداث صنعت التاريخ – جـ٢ – ص٢٠٥.

ويجلس على بساط في مواجهة أخ فى الاسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه براداء أبيض، ثم يخرج من جانبه مسدسا ويطلب من المبايع أن يتحسسه، وأن يتحسس المصحف الشريف ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر، فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير»[٧٣]

ما معنى «إخلاء سبيل الجماعة منك»؟ تأتى الاجابه فى صفحة أخرى عندما يورد الاخ الصباغ نصوص لائحة الجهاز الخاص [الجهاز السرى لجماعة الاخوان]م١٣: إن أيه خيانة، أو إفشاء سر بحسن قصد، أو بسوء قصد يعرض صاحبه للاعدام وإخلاء سبيل الجماعه منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، وإعتصم بالاسباب التى يراها كفيلة له بالحياة»[٧٤]

بل إنه يعطى لنفسه ولزملائه الحق فى القتل المباشر دون إذن من القيادة «إن أعضاء الجهاز يمتلكون - دون إذن من أحد - الحق فى إغتيال من يشاؤون من خصومهم السياسيين، فكلهم قارئ لسنه رسول الله فى إباحة إغتيال أعداء الله».[٧٥] فقط نلاحظ ان «خصومهم السياسيين» هم أعداء الله ويباح إغتيالهم.

بل إن الاستاذ الصباغ يغالى فيقول «إن قتل أعداء الله [أى الخصوم السياسيين للجماعة] غيله هو من شرائع الاسلام، ومن خدع

---

٧٣ - محمود الصباغ - حقيقة التنظيم الخاص - ص١٣٢.

٧٤ - المرجع السابق - ص١٣٨

٧٥ - المرجع السابق - ص٤٢٩

الحرب فيها أن يسب المجاهد المسلمين وأن يضلل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله»[٧٦]

.. فقط يبقى أن نشير إلى أن الاستاذ مصطفى مشهور مرشد الجماعة الحالي هو صاحب مقدمة هذا الكتاب.

ومادمنا في إطار الحديث عن لائحة الجهاز الخاص وعن أساليبه، فلنطالع بعضا من أوراقه التي تم ضبطها في القضية الشهيرة المسماة «قضية سيارة الجيب» وقد أوردهاالاستاذ عصام حسونه الذي كان وكيل النيابه المحقق، في كتاب له. فورقه تعليمات صادرة من قيادة الجهاز لاعضائه تقول « إن كل من يحاول مناوأتهم ،أو الوقوف في سبيلهم مهدر دمه، وان قاتلة مثاب على فعله» و «ان من سياستنا أن الاسلام يتجاوز عن قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة» و.. «إن من السياسيين من يجب إستئصاله وتطهير البلاد منه، فإن لم توجد سلطة شرعية تصدهم، فليتول ذلك من وضعوا أنفسهم للاسلام جنوداً، وأن الاسلام يتجاوز عن إحتمال قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة»[٧٧].

.. ومن أشكال العنف .. «الفتوى»، فالمفتي من أعضاء الجماعة يضع السم في الشراب ويترك الآخرين ليتجرعوه، وكمثال نورد الفتوى التالية التي كانت سبباً في موجه للاعتداء على الكنائس وإحراقها.

في مجلة الدعوه [لسان حال الجماعه] وردت الفتوى التالية التي أفتى بها مفتي المجلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب حول حكم بناء

---

٧٦ - المرجع السابق - ص١٣٨

٧٧ - عصام حسونه - ٢٣ يوليو وعبد الناصر - ص٤٦

الكنائس فى ديار الاسلام.

«حكم بناء الكنائس فى ديار الاسلام على ثلاثة أقسام:

الأول: بلاد أحدثها المسلمون وأقاموها كالمعادى والعاشر من رمضان وحلوان وهذه البلاد وأمثالها لا يجوز فيها إحداث كنيسة ولا بيعة.

والثانى: ما فتحه المسلمون من البلاد بالقوه كالاسكندرية بمصر والقسطنطينية بتركيا فهذه أيضا أيضا لا يجوز بناء هذه الأشياء [لاحظ كلمة هذه الاشياء] فيها، وبعض العلماء قال بوجوب الهدم لأنها بلاد مملوكه للمسلمين.

والثالث: ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها، والمختار هو إبقاء ما وجد بها من كنائس وبيع علي ما هى عليه فى وقت الفتح، ومنع بناء وإعاده ما هدم منها،وواضح انه لا يجوز إحداث كنيسة فى دار الإسلام»(٧٨)

هذا هو الفكر الاخوانى، ولسنا نريد الخوض فى تفنيد هذا الرأى وتخطئته شرعياً، وعبر الممارسات الاسلامية على مدي التاريخ من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وحتى الآن.. وانما فقط نشير إلى أن فتوى كهذه كانت أساساً لأن يقوم بعض الصبية الذين صدقوها وإلتزموا بها بالتعدى علي الكنائس ومحاوله إحراقها.

.. ولعل هذا يقودنا.. الى فكرة طالما نادينا بها وهى : أن الارهاب

---

٧٨ – الدعوة – ديسمبر ١٩٨٠.

يبدأ فكراً.

* * *

.. **ومنذ** البدايات الأولى حاول الاستاذ حسن البنا – وإن بحذر – ان يضع اللبنات الاولى للمفارقة بين عضو الجماعة والمجتمع حكاما ومحكومين.. وللمفاصلة التامة بينهما. بل ولتكفير المجتمع.. حكاماً ومحكومين. وإنكار ما يقوم عليه المجتمع من أسس دستورية وقانونية .

وفى رسالة التعاليم يحدد حسن البنا واجبات «الأخ المجاهد» وعددها ٣٨ واجبا، الواجب رقم ٢٥ منها يأمر العضو « أن تقاطع المحاكم الأهلية، وكل قضاء غير أسلامى، والأندية والصحف، والجماعات، والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الاسلامية مقاطعة تامة»(٧٩) .. والبند رقم ٣٧ يأمره «أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك»

وعلى نهجه سار الاستاذ عبد القادر عوده .. إذ قرر تكفير كل قائل بالقانون الوضعى [والغريب انه ظل وحتى آخر أيام حياته محامياً ويدير مكتباً كبيراً للمحاماة التى تعتمد وفقط على التحاكم إلى القانون الوضعى].ويقول الاستاذ عوده «من الامثلة الظاهرة علي الكفر بالامتناع في عصرنا الحالى: الامتناع عن الحكم بالشريعة الاسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلا منها» (٨٠).

ويقول: «فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر عليه، فهو كافر قطعا»(٨١)

٧٩ – حسن البنا – رسالة التعاليم – ص١٢

٨٠ – عبد القادر عوده – التشريع الجنائى الاسلامى – جـ ٢ – ص٧١٠

٨١ – المرجع السابق – ص٧٠٩

ويقول مفكر إخواني آخر هو الاستاذ على جريشه «ولا خلاف في جهاد من منع بعض شريعة الله، وأولى به من منع كل الشريعة، والقعود عن الجهاد تهلكة نهى الله عنها»[٨٢]

وغنى عن القول أن القول بتكفير كل من يقبل بالقانون الوضعي، هو تكفير للحكم والمجتمع والمحكومين، أما القعود عن الجهاد ضد هذا المجتمع فهو «تهلكه نهى الله عنها».

دون صعوبة إذن نكتشف أن جوهر فكرة التكفير ومن ثم «المفاصلة» مع المجتمع، والعنف ضده ، قديمة قدم الدعوة ذاتها، وأن الذى أرسي أساسها هو مؤسس الجماعة ذاته.. الاستاذ حسن البنا.

والذين يتصورون أن الاستاذ سيد قطب أستاذ «التكفير» والذي إنبثق من فكره كل دعاة الارهاب المحدثون [إلى درجة انهم يسمون بالقطبيين] كان شارداً عن خط الجماعة واهمون .. هو فقط وضع الكلمات في موضعها الواضح، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه.

وسيد قطب رجل لا يعرف المساومة..

فيقول: «ان الاسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامى، ومجتمع جاهلى» والمجتمعات الجاهلية عند سيد قطب هى كل المجتمعات «الشيوعية والوثنيه واليهودية والمسيحية، والمجتمعات التى تزعم انها مسلمه»[٨٣]

ويشكل أوضح يقول: «يدخل فى إطار المجتمع الجاهلى جميع

---

٨٢ - د. على جريشة - أصول الشريعة الاسلامية - ص٤٩.

٨٣ - سيد قطب - معالم فى الطريق - ص١٠٦.

المجتمعات القائمة على الارض»[٨٤]

وكما قلنا لا حل وسط فهو يقول: «فنحن وهذه الجاهلية علي مفرق الطريق.. فإما إسلام وإما جاهلية، وإن وظيفتنا الأولى هى إحلال التصورات والتقاليد الاسلامية فى مكان الجاهلية، ولن يكون هذا بمجاراة الجاهلية فى بعض الخطوات لأننا حين نسايرها خطوة، فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق»[٨٥]

وهو لا يعترف بإسلام المسلمين «إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون وهم يحيون حياة الجاهلية، ليس هذا إسلاما، وليس هؤلاء مسلمين . والدعوة إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الاسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد»[٨٦]

تأملوا «لتجعل منهم مسلمين من جديد». وهو لا يعتبر أن الاسلام قائم إلا فى حدود جماعته ومن ثم فهو يدعو إلى إعاده «إنشائه» قائلا «وينبغى ان يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الاسلامية أنهم حين يدعون الناس إعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولا إلى إعتناق العقيدة، حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون، فاذا دخل فى هذا الدين عصبة من الناس، فهذه العصبة هى التى يطلق عليها اسم المجتمع المسلم» [٨٧]

وسيد قطب ينكر أية رابطة سوى رابطة الاسلام فهو لا يعترف

---

٨٤ - المرجع السابق - ص٨٤.

٨٥ - المرجع السابق - ص٨٥.

٨٦ - المرجع السابق - ص١٧٢.

٨٧ - المرجع السابق ص٤٠.

بالوطن ولا بالوطنية «لا رابطة سوى العقيدة، ولا قبول لرابطة الجنس والارض واللون واللغة والوطن والمصالح الأرضية والحدود الاقليمية» «إن هى إلا أصنام تعبد من دون الله»[٨٨]

مرة أخرى انه رجل لا يعرف المساومة «لا حل وسط، ولا منهج بين بين.. إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية»[٨٩]

ومرة أخري هو يرفض كل المجتمعات «سواء كان إسمها حكم الفرد أو حكم الشعب، شيوعية أو رأسمالية، ديمقراطية أو ديكتاتورية، أو أتوقراطية أو ثيوقراطية»[٩٠]

.. ما معنى ذلك كله؟ ما معنى تكفير المسلمين جميعا.. حكاماً ومحكومين.. معناه ببساطة انهم جميعا مرتدون. ثم

.. الارهاب.

وهكذا فإن الارهاب يأتى منقاداً ويشكل طبيعى للفكرة الاولى الذى وضع بذرتها الاستاذ حسن البنا ومدها على إستقامتها الاستاذ سيد قطب..

ولعل وضوح وصراحة سيد قطب قد دفعت كثيراً من الاخوانيين المعتادين على «التقية» والمالأة ، والتلاعب بالكلمات إلى القول بأن سيد قطب قد تباعد عن فكر الجماعة. مستندين فى ذلك إلى كتاب «دعاة لاقضاة» الذي أصدره الاستاذ حسن الهضيبى [مرشد الاخوان آنذاك] وهو في السجن. ناسين أن الاستاذ الهضيبى كان كغيره من قادة الجماعة، يجاهر أحياناً بغير ما يعتقد، وملتجئاً إلى «التقية» ولنا على

---

٨٨ - المرجع السابق - ص٥٨.

٨٩ - سيد قطب - فى ظلال القرآن - جـ ١ - ص١١

٩٠ - سيد قطب - مقومات التصور الاسلامى - ٢٣

ذلك أدله عديده..

«أرسل الاستاذ الهضيبى من سجن طره الي الاخوان في الواحات مؤكدا أن تفسير الاخ سيد قطب للقرآن هو الحق الذى لا يسع أى مسلم أن يقول بغيره»(٩١)

ولقد يقول قائل – ولقد يكون – علي حق – أن هذه أقوال متهم قد أُجبر عليها تحت وطأة التعذيب.

فلنأت إلى شهادة أخرى، كتبت في الزمن السعيد زمن التهادن بين الاخوان والسادات.

الاخت زينب الغزالى تقول «إن فضيلة المرشد [الاستاذ الهضيبى] قد قرأ كتاب معالم فى الطريق، وأعاد قراءته قبل طبعه، ووافق عليه.. وقال أن هذا الكتاب قد حصر أمله كله فى سيد، وانه الأمل المرتجى للدعوة الآن»(٩٢)

وفى كتاب آخر أصدره واحد من مفكرى الجماعه [الاستاذ صفوت منصور] نقرأ «والاستاذ سيد قطب صاحب كتاب معالم فى الطريق يعد فى ميزان الرجال عماداً هائلا فى تجديد شباب الحركة الاسلامية، والإمتداد الفكرى والحركى لجماعة الاخوان المسلمين(٩٣)

ويعود فيؤكد ان فكر الاستاذ سيد قطب «هو إمتداد لفكر جماعة الاخوان المسلمين، وتجديد لشبابها الفكرى والحركى»(٩٤).

وقائد إخوانى مبرز هو الاستاذ صلاح شادى يكتب كتاباً أسماه

---

٩١ – محضر تحقيق النيابة فى القضية ١٢ لسنة ١٩٦٥ – أمن دوله عسكريه عليا – المتهم فيها سيد قطب وآخرون – محضر أقوال عزمى بكر محمود شافع.

٩٢ – زينب الغزالى – أيام من حياتى – ص٣٦.

٩٣ – صفوت منصور – المنهج الفكرى للعمل الاسلامى – الاخوان المسلمون – ص٩٢.

٩٤ – المرجع السابق – ص٩٨.

« الشهيدان - حسن البنا وسيد قطب» يقول فيه «لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة للفكر الاسلامي، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة لهذا الفكر»(٩٥)

* * *

الموقف الاجتماعي لجماعة الاخوان.

ولأن القرآن حمّال أوجه. ولأنه لا ينطق وهو مكتوب وإنما ينطق به البشر كما قال الامام علي بن أبى طالب.

«فإن تلك الجماعة التى أكدت وتؤكد انها تتخذ من الاسلام منهجاً متكاملا، والتي كسبت تأييداً لا بأس به لأنها تقدم تصوراً يقول انه يستهدف تغيير النظام السياسى التقليدى فى مصر تغييراً شاملا»(٩٦)

فقد إستخدمت الدين بما يحقق لها مصالحها السياسية

ولأن الاسلام شأنه شأن أى معتقد سماوى أو فكرى يمكن الدخول إليه من أكثر من مدخل. وبرغم أننا تعلمنا على أيدى مفكرين أسلاميين المدخل الصحيح نحو البعد الاجتماعي للاسلام.. مفكرين مثل رفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الافغانى الذى قال «إن أول من عمل بالاشتراكية هم الصحابة» والذى منح كلمة الاشتراكية تعريفا موجزاً ودقيقاً إذ قال

« الاشتراكية هى التى تعطى حقاً مسلوياً للشعب العامل»(٩٧)

---

٩٥ - صلاح شادى - الشهيدان - حسن البنا وسيد قطب - ٧٧.

96 -wheellook ,Kwith - New Egypt. (1960) - p3.

٩٧ - جمال الدين الافغانى - خاطرات جمال الدين - أملاه على محمد باشا المخزومى - ص١٦١.

وأمثال الاستاذ الامام محمد عبده الذي كان يرى كما يؤكد تلميذه رشيد رضا «ان تراكم الثروة لدى البعض يخلق مشاكل إجتماعية، وأن الاضرابات العمالية والمشكلات في علاقات العمل هى مجرد ثمرة لهذا الوضع»(٩٨)

فان آخرين إختاروا مدخل إتخاذ الدين الدين كسلاح فى يد الرجعية وكبار الملاك والرأسماليين.

أما حسن البنا فقد وجد نفسه فى مأزق حقيقى.

فهو يريد أن يكسب لجماعته جماهيريه وسط جموع الفقراء. لكنه لا يريد أن يفقد مساندة القصر وكبار الملاك فإتخذ موقفاً يمكن القول بأنه «وسط» وبأنه «مرن» وبأنه يفصل بين القول والممارسة الفعلية.

وإكتسب هذا الموقف مزيداً من المرونة أو بالدقة الغموض إذ رفض فى الواقع إعلان أي برنامج سياسى أو إقتصادى محدد وواضح وإكتفى بالعموميات مثل «القرآن دستورنا».

لكن واقع الحياة كان يفرض علي الجماعة أن تحدد موقفاً من مجمل البنية الاجتماعية والاقتصادية. فاضطرت الى ذلك وإتخذت من الوسطية والمرونة سبيلاً لتلافى أى إختيار واضح وصريح بين العمال وبين مستغليهم.

وسنحاول وبايجاز شديد تلمس الأسلوب الذى حددت به الجماعة ومفكروها «الموقف الفكرى» من القضية الاجتماعية ومن الطبقة العاملة.

---

٩٨ – رشيد رضا – تفسير القرآن الكريم – جـ ٢ (١٣٦٧هـ) ص١٠٧

يقول أحد مفكرى الجماعة الشيخ محمد الغزالى: أن الإسلام يطرح نظاما إقتصادياً يمكن تسميته بالنظام الوسيط» وهو لايتردد فى القول بأن مثل هذا النظام «قد يطبق بأشكال مختلفة باشراف الدولة على مصالح الشركات الكبرى إشرافاً مباشراً.. وهو ما إعتبره وسطاً بين تعطيل مبدأ الملكية وبين إطلاقه».(٩٩)

بينما يقول مفكر آخر من مفكرى الجماعة هو سيد قطب «أن النظام الإسلامى ليس هو الرق.. وليس هو الإقطاع وليس هو الشيوعية، أن النظام الإسلامى هو فقط النظام الأسلامى»(١٠٠)

إن عبارة سيد قطب هذه نموذج دقيق لأسلوب عرض جماعة الإخوان لأفكارها خاصة فى المجال الاجتماعى فهى تكتفى بنفى صفات محددة دون أن توضح تحديداً ماذا تريد.. لكننا نلاحظ أن قطب لم ينف صفة «الرأسمالية» عن النظام الإسلامى، ربما لأنهم كعادتهم لم يريدوا تصادماً مع الرأسمالية.. .. فالعبارة قيلت عام ١٩٥٢ حيث كان حكام يوليو ضد الإقطاع وضد الشيوعية لكنهم لم يتخذوا أى موقف ضدالرأسمالية.

وتحاول مجلة الدعوة أن تضفى ظلالاً غيبية علي موضوع الملكية

٩٩ – الشيخ محمد الغزالى – الإسلام والأوضاع الاقتصادية – (١٩٥٢) – ص

١٠٠ – سيد قطب – مقال – مجلة المسلمون – مارس – ١٩٥٢

ذاته «فالاسلام لا يعرف الملكية وإن كان يعرف الحيازة. إذ قررت المذهبية الإسلامية أن هذا الكون مرده إلى خالق واحد، وأنه وحده مالك الملك بما فيه من مادة وروح. فالإنسان ليس مالكاً أصيلاً لأى شئ لا لذاته أو جسده ولالزرع أو ضرع ولا أرض أو ماء أو هواء .. وإنما هو خليفة الله سبحانه في ملكه»(١٠١)

وإذا كانت«الملكية» لله وحده والإنسان مستخلف فيها: فإن الاستغلال ليس ملازما للملكية.

فالشيخ البهى الخولى الذى كلف باعداد البرنامج التثقيفى للجماعة يقول: «إن مقاومة الاستغلال لا تكون بالغاء الملكية بل بإقامة السلطة العادلة، أما الملكية ذاتها فليس من طبيعتها أن تبيح هذا العدوان، فقد يملك الأنسان ولا يظلم، وقد يملك ويكون محسناً كريماً. ومن ثم فالملكية ليست بحاجة إلي معالجة أو مقاومة، وإنما إلى تهذيب».(١٠٢)

ووفق هذه المرتكزات الفكرية تقدم الجماعة أفكارها ومواقفها.

ويقول حسن البنا في رسالته المعنونة «مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى».

«إن التفاوت عظيم والبون شاسع والفرق كبير بين الطبقات المختلفة فى هذا الشعب، فثراء فاحش وفقر مدقع » وقد يتصور القارئ أن

---

١٠١ – الدعوة – العدد الأول – (١٩٥١)،

١٠٢ – البرنامج التثقيفى لجماعة الإخوان المسلمون – محاضرة التثقيف الاقتصادى إعداد البهى الخولى.

الجملة التالية ستكون دفاعا عن العمال أو فقراء الفلاحين لكنها تأتى دفاعاً عن الطبقة الوسطى «فالطبقة المتوسطة تكاد أن تكون معدومة. والذي نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليست إلا مجموعة من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين علي قاعدة بعض الضرر أهون من بعض»(١٠٣)

ويحدد البنا قواعد للنظام الاقتصادى فى الإسلام من بينها:

- إعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه.
- تقرير حرمة المال وإحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

ويستند البنا فى تأكيد تحريم مصادرة المال إلى الحديث النبوى «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله».

ويمضى البناء قائلا: «لقد امتدح الإسلام المال الصالح وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره وأشاد بمنزلة الغنى الشاكر الذى يستخدم ماله فى نفع الناس ورضاء الله»(١٠٤)

---

١٠٣ - حسن البنا - مجموعة الرسائل - ص٤٢٠.

١٠٤ - المرجع السابق - ص٤٢٥.

ويشير أحد مؤرخى الجماعة إلى تعمدها الحديث الغامض عن مشاكل العمال وعن حلول هذه المشاكل فيقول:

«إلتزمت الجماعة بالفكر والمصطلحات الشمولية ولم تلجأ إلى التحليل الطبقى.

لذلك فقد إقتصر إهتمامها بالقضايا العمالية على إظهار شعور الاستياء مما يعانيه العمال من الفقر والمرض وما يلاقونه من إضطهاد من جانب أصحاب الأعمال وإكتفت بالمطالبة بتحسين أحوالهم وتشغيل العاطلين منهم»(١٠٥)

وبعد أسبوع واحد من ثورة يوليو نشرت الجماعة ما يمكن إعتباره «برنامجاً» سياسياً وإقتصادياً، ولعلها فعلت ذلك بهدف إحتواء القيادة الجديدة أوتحت ضغطها. وكذلك لمحاولة كسب جماهيرية وسط الشارع المصرى الذى كان ثوار يوليو ومؤيدوهم من الشيوعيين يكسبون مواقع هامة فيه. وقد جاء فى هذا البرنامج:

«العمل فرض على القادر عليه، ولا يجوز له أن يتخلى عنه، ولا يجوز إعانة رجل لا يعمل وهو قادر، بل يحمل على العمل حملاً، ويجب على ولى الأمر أن يساعد على إيجاد عمل له.

فإذا لم يجد عملاً أصلاً، أو كان عمله لا يكفيه أو كان غير قادر عليه، وجب على ولى الأمر أن يتدخل ليحقق له ضرورات الحياة بالزكاة

---

١٠٥ - د. زكريا البيومى - الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية - (١٩٧٩) - ص٣٠٤.

، فإن لم تكف الزكاة لتوفير الحاجات الضرورية، وجب علي من عنده فضل مال أن يرده على *الفقراء* حتى يستوفوا حاجاتهم، فإن لم يفعلوا أجبرتهم الحكومة على ذلك وإتخذت من *التشريعات ما* يكفل *إصلاح* حال المجتمع بقدر ظهور الحاجات وبروز الضروريات.

كذلك يجب إستكمال التشريعات العمالية بإعادة النظر فى التشريعات العمالية الحالية لتشمل جميع فئات العمال بما فيهم العمال الزراعيون ولتكفل للعامل وأسرته التأمينات الكافية ضد البطالة والاصابة والعجز.. مع مراعاة جعل الانتساب للنقابات إجبارياً و إباحة تكوين الاتحادات النقابية وتحديد أجور العمال وفق المبادئ الإسلامية»(١٠٦)

إنه تطور مفاجئ فى موقف الجماعة تحاول به التقرب من العمال والفقراء عموما والمزايدة علي شعارات ثورة يوليو.

ويواصل الإخوان عملية المزايدة،ففى احتفالهم بالمولد النبوى عام ١٩٥٢ وفى حضور محمد نجيب وجمال عبد الناصر ألقى المرشد العام للجماعة الهضيبى كلمة قال فيها:«كل إنسان عليه واجب الحصول على عيشة عن طريق العمل الحلال بحسب ما تؤهله له مواهبه، ويجبر على العمل إذا هو قعد عنه، وإذا كان عمل العامل لا يكفيه، أو لم يجد أصلاً أو كان غير قادر على العمل فهو فى كفالة المسلمين جميعاً أى

---

١٠٦ - صحف ٢ /٨ / ١٩٥٢ نقلا عن : محمود عبد الحليم - الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - جـ ٣ -ص١٢١.

فى كفالة الدولة تمده بما يحتاج إليه من حاجاته الضرورية»[١٠٧]

لكن ذلك كله يبقى في العموميات فالإخوان لم يخرجوا أبداً عن *إطار العموميات فى حديثهم السياسى والاجتماعى، وإن كان لابد من تخصيص فهو ليس فى صف العمال ولا فى صالحهم.*

فحسن البنا يعد محاضرة لقسم العمال بالجماعة يؤكد فيها «إن على العمال أن يتذكروا دوماً واجبهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو صاحب العمل»[١٠٨]

أما «الأضراب» فهو عند الجماعة وبشكل حاسم «أمر مخل بروابط الإخاء بين المسلمين ومثير للجفاء بين فرقهم»[١٠٩].

وإذا كان البعض يرى في الإضراب سلاحاً عمالياً فإن الإخوان يقدمون أسلحة أخرى «لابد للعامل من سلاحين هما قوة الإيمان وحسن الخلق. فتقوم الصلة بين العامل وصاحب العمل علي الاحترام والعطف المتبادلين وهذه هى أنجح الوسائل»[١١٠]

وعندما تزايدت حدة أزمة البطالة شكل «قسم العمال» بالجماعة لجنة لشئون العاطلين درست المشكلة ثم تقدمت باقتراح غريب هو «إعادة العمال الذين نزحوا من قراهم إبان الحرب للعمل فى المدن.. إلى قراهم الأصلية»[١١١]

---

١٠٧ - المرجع السابق - ص٩٠.

١٠٨ -الإخوان المسلمون - ٢٤ / ٨ /١٩٤٦.

١٠٩ - المرجع السابق.

110 - Boehm,jacob. Les freres Musulmans - Mondenon- chreti-en XXvi-june

١١١ - الإخوان المسلمون ١٨ / ١٩٤٦/٨

ولابد هنا من الإشار إلى مسألة هامة تشكل محور الموقف الفكرى للجماعة من القضية العمالية. فقد هاجم الإخوان وبحماس شديد الرأسماليين الأجانب (وكان كثير منهم من اليهود) ووصفوهم «بالاستعمار الاقتصادى» وطالبوا بتوجيه ضربات شديدة لهم، بل لقد تطور الأمر عام ١٩٤٩ إلى نسف مصانعهم وشركاتهم لكنهم فى نفس الوقت لم يهاجموا علي الإطلاق الرأسماليين المصريين.

إن وثيقة بريطانية تلمح إلى هذه المفارقة بذكاء.. فبعد مقتل حسن البنا أعدت السفارة البريطانية تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية جاء فيه:

«كان حسن البنا يستهدف مساندة العمال المصريين ضد أصحاب الأعمال الأجانب، لكنه لم يكن ضد أصحاب الأعمال المسلمين»(١١٢)

ولعل لهذا الموقف مدخله الدينى والاجتماعى والانتهازى فى آن واحد.

* * *

ونأتى إلى ساحة الممارسة. ولقد تعودنا من جماعة الإخوان أن تختلف الأقوال عن الأفعال .. وفى البداية يحدد محمد شريف مسئول مكتب العمال بالجماعة الهدف الأساسى للجماعة من العمل وسط جماهير العمال «أكد محمد شريف أن معاداة الشيوعية كانت أحد هدفين أساسيين إستهدفتهما الجماعة من عملها المنظم فى صفوف الطبقة العاملة أما الهدف الآخر فهو السعى لنشر دعوة الإسلام فى الأوساط العمالية»(١١٣).

---

112 - F.O.371 - 73474 - 13567.(1949). [المتحف البريطانى]

113 - Beinin and loekman - workers on the nile -(1987) - interview with m.shar if.p.369.

ولا شك أن نشاطاً من هذا القبيل قد لقى ترحيباً شديداً من جانب الحكومات والرأسماليين على السواء..

والحقيقة أن تركيز الإخوان فى نشاطهم علي مقاومة الشيوعية قد أوقعهم في محاذير شديدة الخطر، فدفعوا عضويتهم إلي التجسس على العمال النشطين، وعلى الشيوعيين عموماً وإبلاغ السلطات عنهم..

وأمام محكمة الشعب (التى شكلتها سلطة يوليو لمحاكمة الإخوان عندما تصادمت معهم) وقف أحد قادة الجماعة وهوصلاح الدين أبو الخير ليعترف صراحة «أن قسم الأخبار فى الجماعة كان يقوم بجمع الأخبار المهمة التى تهم الجماعة وأيضا نشوف حاجة.. خلية شيوعية مثلاً.. وأنا أعرف أن الإخوان ضبطوا عدة خلايا وأبلغوا عنها»[١١٤].

ولكن أغلب النشاط الإخوانى التجسسى ضد اليسار عموماً، تركز أساساً فى المجال العمالى «حيث كانت أعين وإهتمامات أجهزة الأمن والقصر والرأسماليين مركزة هى أيضا»[١١٥].

ويعتقد ريتشارد ميتشل وهو باحث متخصص في تاريخ الجماعة .. أن هذا الموقف قد أضر ضرراً شديداً بالنشاط الإخوانى وسط العمال بحيث وصل به قرابة عام ١٩٤٨ إلى ما يشبه التصفية.[١١٦]

---

١١٤ - محكمة الشعب - الجزء الثانى - ص٢٩.

115 - For more detailes see -Badaoui - Zaki,les problemes du travail et les organisations ouvries.

116 - mitchell.richard - The society of the muslim brothers - (1969) p.282.

ولعل هذا الموقف هو الذى دفع العديد من الأبحاث الأكاديمية إلى دراسة ممارسات جماعة الإخوان فى صفوف العمال من خلال أو بالتوازى مع دراستهم لصراعهم مع الشيوعيين .. ففى كتاب Workers on the nile نقرأ:

«وقد إنعكس ذلك فى صفوف العمال فى شكل تصادم حاد مع الشيوعيين حيثما وجد لهم نفوذ، فلقد بدأ الإخوان المسلمون فى معارضة كل محاولة للشيوعيين لاستقلال النقابات والعمل النقابى عن رؤساء العمال فى المصانع، ولتصعيد النضال العمالى الذى إعتبره الإخوان دعوة لإثارة الخلاف بين المسلمين. وفى نفس الوقت دأبت الجماعة على مقاومة كل أشكال النفوذ الشيوعى سواء بالدعاية أوحتي بالتدخل العملى،. ومن ثم فإن منطقة شبرا الخيمة وصناعة النسيج بشكل عام أصبحت أحد أهم مجالات الصراع المحتدم بين الاخوان والشيوعيين فى صفوف الحركة العمالية»(١١٧).

..ويمكن القول أن الظروف كانت مواتية كى يمارس الإخوان دوراً أزيد بكثير مما فعلوا.

فهناك أولاً المشاعر الدينية المسيطرة على جماهير العمال باتجاه الجماعة.وهناك أيضا الفراغ السياسى فى صفوف الطبقة العاملة في مطلع الثلاثينيات عند نشأة الجماعة. فالحزب الشيوعى المصرى

- 117 - see beinin - ibid .p..365.

وجهت له ضربات عنيفة. والاتحاد العام لنقابات العمال الذى أسسه الحزب عام ١٩٢١ تم حله أيضاً وصودرت ممتلكاته وسجن قادته، وحلت محله إتحادات عمالية شكلية تابعة بشكل مباشر للأحزاب البورجوازية أو للقصر الملكى، وتولى رئاستها بكوات وباشوات، بل وأحد نبلاء الأسرة المالكة. وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية تدفع بالعمال إلى العمل المباشر..

لكننا نعتقد أن المناورة السياسية والمراهنة على القصر الملكى وعلى عدم إغضاب كبار الملاك والرأسماليين بالإضافة إلى المنطلق المعتقدى، كل ذلك أدى بالجماعة إلى العجز عن الاستفادة من كل هذه الممكنات.

وبرغم ذلك فلابد لنا أن نلاحظ وباهتمام أن أول من إنضم إلى حسن البنا فى عملية تأسيس الجماعة كان ستة من العمال[١١٨] لكن الإسهام المكثف فى عملية التأسيس لم يتواصل معه تواجد جدى للجماعة فى صفوف العمال.

وعلى أية حال فقد تطور موقف الإخوان إزاء الطبقة العاملة من الاتصالات الفردية.. إلى العمل المباشر والمنظم، وشهد عام ١٩٣٨ بداية هذا التوجه ففى ٢٢ أغسطس ١٩٣٨ «ألتقي بالمركز العام للجماعة مجموعة من العمال «المتعلمين» وتداولوا الأوضاع السيئة التى

---

١١٨ - حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - ص٥٣.

تعيشها الحركة العمالية وحول إمكانية تأسيس حزب عمالى»[119].
ويعلق أحد الباحثين على هذه المحاولة قائلاً: «ويبدو أن هذا الحزب قد تكون من عدد محدود ولفترة وجيزة. واتخذ له مقراً المركز العام للجماعة. ويبدو أنه كان مجرد واحدة من المناورات التى حاكها القصر ضد الوفد»[120].

وبعد عدة أشهر من هذه المحاولة الفاشلة أى فى عام ١٩٣٩أضرب ثمانية من قادة العمال بمدينة المحلة الكبرى عن الطعام إحتجاجاً على سوء أحوال الطبقة العاملة ومطالبين الحكومة باصدار تشريع يسمح بحق التنظيم النقابى. وقد إهتمت مجلة النذير (لسان حال الجماعة فى ذلك الوقت) بهذا الإضراب بالرغم من أن المضربين كانوا يساريين أو قريبين من اليسار، وهاجمت الحكومات المصرية المتعاقبة لأنها لم تف بوعودها للعمال وطالبت الوزارة بإصدار تشريعات منصفة لهم. لكنها فى الوقت نفسه هاجمت الاضراب كوسيلة وكأسلوب، وأكدت أنه يتنافى مع تعاليم الإسلام.[121]

وتأتى الأربعينيات لتشهد إنطلاقة يسارية واسعة، ونشاطاً شيوعياً فى صفوف العمال، ولعل هذا هو الذى دفع الجماعة لبذل إهتمام مضاعف بالقضايا العمالية.

---

١١٩ – شبرا – ٢٥ /٨ /١٩٣٨.
١٢٠ – د. زكريا البيومى – المرجع السابق – ص٣٠٥.
١٢١– النذير – ١٩ / ٦ /١٩٣٩.

وفى ٢٩ أغسطس ١٩٤٢ صدر العدد الأول من جريدة «الإخوان المسلمون» ليعلن تأسيس «قسم الشئون الاجتماعية» بالجماعة.. بما يعنى بداية إهتمام منظم ومنتظم بهذه المسألة.

ويلاحظ مؤلفا كتاب «العمال علي ضفاف النيل».«أن المقالات التى نشرت عن الإصلاح الاجتماعى منذ ذلك التاريخ وحتى لحظة التوقف المؤقت للجريدة في يناير ١٩٤٤ كانت مقالات عامة، ومجردة تعكس فقط الرؤية الإسلامية الاجتماعية. ولم نجد بينها مقالاً واحداًيمتلك رؤية محددة حول مسألة عمالية محددة».(١٢٢)

لكن الجريدة إذ عاودت الصدور فى ديسمبر ١٩٤٤، عادت بتوجه جديد ومباشر نحو الطبقة العاملة - وإتسمت مقالاتها عموماً بالبساطة والشعبية والنبرة السياسية والاجتماعية الأكثر حدة. وتوافق ذلك مع توجه الجماعة لعمل نشط وسط العمال.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة أسست الجماعة «قسم العمال» بالمركز العام، لكنها حرصت على التأكيد بأن «الغرض من إنشاء هذا القسم ليس التدخل فى شئون العمال النقابية، ولا التنافس مع الهيئات العمالية، أو التعرض للعمال فى مصانعهم أو شركاتهم، ولكنه أنشئ بغرض توصيل الدعوة إلى نفوسهم وحتى يكون دافعاً لتمسكهم بتعاليم الدين».(١٢٣)

122- beinin - ibid p.366

١٢٣ - الإخوان المسلمون ٢٨ / ٦ /١٩٤٥

ومرة أخرى فإن أغلب مؤرخى هذه الفترة يربطون بين توجه الإخوان للعمال وبين تصاعد النفوذ الشيوعى فى صفوفهم ويؤكدون أن واجب «العداء للشيوعية» كان أحد دوافع الإخوان للنشاط وسط العمال.. (١٢٤)

وقد حاول الإخوان أيضاً «إقامة نقابات عمالية تستوحى أفكارهم وقد حققوا فى ذلك نجاحاً ما، ونشرت صحيفتهم أن عمال النقل قد قرروا تأسيس نقابة تعمل على هدى رسالة الإخوان. كذلك أصبح لهم نفوذ فعال فى عمال البترول بالسويس، مع بعض مجموعات من عمال النسيج فى المحلة وشبرا الخيمة »(١٢٥)

لكن بعض الباحثين والخصوم السياسين للإخوان يؤكدون أن الجماعة وجريدتها كانت تبالغ إلى حد كبير في نشر معلومات عن النشاط الإخوانى وسط العمال.

وكمثال على ذلك نروى الواقعة التالية: ففى أعقاب تأسيس «اللجنة الوطنية للعمال والطلبة» (وهى تجمع يسارى جماهيري ضم ممثلين للشيوعيين ويسار الوفد في صفوف الطلاب والعمال، وقاد تحركاً وطنياً واسعاً ضد قوات الاحتلال، وقاد مظاهرات صاخبة في ٢١ فبراير و٤ مارس ١٩٤٦)، نشرت جريدة الاخوان المسلمون أنه قد تأسست

---

١٢٤ - راجع زكريا البيومى - المرجع السابق.

١٢٥ - زكريا البيومى - المرجع السابق - ص٣٠٦.

لجان تابعة للجماعة فى مختلف مصانع منطقة شبرا الخيمة (كبرى المناطق الصناعية بالقاهرة) وتأسست لجنة عليا لمندوبى هذه المصانع.

وعلى الأثر أصدر قادة اللجنة الوطنية العامة لعمال شبرا الخيمة (أحد القوى الأساسية المكونة للجنة الوطنية للعمال والطلبة) بياناً جاء فيه:

«نشرت جريدة الإخوان المسلمين أنه قد تألفت لجنة فى كل مصنع من مصانع شبرا الخيمة، وتألفت لجنة عليا من هذه اللجان، والحقيقة أنه لم تتألف لجان برغم المساعى الشديدة لهذه الجماعة، ولقد ذهبنا نحن ممثلى العمال لمقابلة المسئولين فى الجماعة وسألناهم عن هذه المحاولات التى تتم فى مواجهة نقابات العمال فلم نظفر بجواب مقنع بل وجدناهم يتكلمون بلغة المستعمر وأصحاب الأعمال. وأمام هذا أعلنا لهم عدم موافقتنا على تشكيل أى لجنة .. وهذه حقيقة نعلنها للرأى العام»[(١٢٦)]

كذلك أصدر التشكيل النقابى الأساسى فى مصر فى ذلك الحين «مؤتمر نقابات عمال الشركات الأهلية» بيانا جاء فيه:

«دأبت جماعة الإخوان المسلمين منذ فجر البعث الوطنى الحالى على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التى ترمى فى مجموعها إلى القضاء على الحركة الوطنية أو تحويلها عن أهدافها مما لا يخدم غير

---

١٢٦ - محمد حسن أحمد (اسم سرى) - الإخوان المسلمون فى الميزان (١٩٤٦) - ص٩٨.

الاستعمار. ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هي اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين، والمنتخبة إنتخاباً ديمقراطياً،والمنظمة لكفاح طوائف الشعب حتى يقضى على الاستعمار .. فقد دبر الأخوان مؤامراتهم خاصة ضد اللجنة، وبدأوا في إعلان تكوين لجان خاصة بهم وسط العمال.. ويعلن المؤتمر أنه والهيئات الوطنية للعمال والطلبة، يحذرون الزملاء العمال من الانضمام إلى أية لجنة تؤلفها جماعة الإخوان المسلمين وكل عامل ينضم إلى أى لجنة من لجانها لا يمثل إلا نفسه.

- لتحيا اللجنة الوطنية للعمال والطلبة.
- لتسقط الفاشية.
- ليسقط الاستعمار».[(١٢٧)]

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة أنه لا صحة لما أعلنته جريدة الجماعة من تأسيس لجان في المصانع بشبرا الخيمة تابعة للجماعة إذ لم يبرز أى نشاط لهذه الجان، وإن كانت الجماعة قد ظلت تمتلك تواجداً محدوداً في مصانع هذه المنطقة.

ويؤكد مؤلفا « العمال على ضفاف النيل»:

«إن قادة عمال النسيج في شبرا الخيمة الذين تمسكوا بالخط السياسى للجنة الوطنيةللعمال والطلبة لم يخفوا عداهم لمحاولات

---

١٢٧ - المرجع السابق - ص١٠١.

التسلل الإخوانية فى صفوفهم»[١٢٨]

والحقيقة إن موجة العداء التى تصاعدت ضد الإخوان وسط صفوف العمال لم تكن فقط بسبب الممارسات السياسية المعادية للمشاعر الوطنية، والتى وقفت بالإخوان فى صف رئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقى، وضد حركة الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار بقيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وإنما كانت بسبب ممارسات محددة ضد مصالح العمال المباشرة، وكنموذج لهذه الممارسات يذكر الباحثون فى تاريخ هذه الفترة..إضراب شبرا الخيمة الشهير .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ قاد الشيوعيون إضراباً شاملاً وناجحاً فى منطقة شبرا الخيمة حيث توقفت كل مصانع المنطقة عن العمل، وتشكلت قيادة سرية للإضراب عجز البوليس عن الوصول إليها.. وفي البداية أيدت جماعة الاخوان الإضراب لكنها ما لبثت أن انسحبت منه، وبدأت حملتها ضده ،بل لقد أرسلت وفوداً من دعاتها إلى المنطقة لإقناع العمال بالعدول عن الإضراب بحجة «أن الدين يحرم الإضراب لأن فيه خسارة لأصحاب المصانع من المسلمين».[١٢٩]

وعاد عمال شبرا الخيمة إلى الإضراب من جديد، فى إضراب أكثر شمولاً وأكثرَ تنظيماً إستمر طوال شهرى مايو - يوليو ١٩٤٦ .. ومنذ

---

128 - beinin - ibid p. 371.

١٢٩ - محمد حسن أحمد - المرجع السابق - ص٩١

البداية وقف الإخوان ضد الإضراب..

وإتهم قادة الإضراب - وأيدتهم في ذلك صحف الوفد - أعضاء جماعة الإخوان «بأنهم قد سلموا البوليس قوائم بأسماء وعناوين القادة السريين للإضراب ونتيجة لهذه المعلومات ألقى القبض على أكثر من مائة من القادة العماليين».(١٣٠)

لكن الاضراب إستمر رغم ذلك.وصمم أصحاب المصانع على عدم السماح للعمال بالعودة للعمل إلا إذا تعهدوا كتابة بعدم العودة للإضراب. وأيدت جريدة الإخوان ذلك ،ودعت العمال «إلى إنهاء الإضراب والتوقيع على التعهد الذى طلبه منهم أصحاب المصانع ومكتب العمل بعدم اللجوء إلي سلاح الإضراب فى المستقبل» وقالت الجريدة أنها «تؤمل بعد عودة العمال للعمل وتوقيعهم على التعهد المطلوب أن تعمل الحكومة على حل مشاكل العمال»(١٣١)

بل إن جريدة الجماعة تواطأت مع السلطات فى محاولة تخريب الإضراب فنشرت خبراً غير صحيح يستهدف تصفية الإضراب، فقالت: «أن وفداً من عمال شبرا الخيمة أعلن إعتزام العمال إنهاء الإضراب».(١٣٢)

وردت عليها إحدى صحف حزب الوفد ببيان لقيادة الإضراب نفت

---

١٣٠ - الوفد المصرى - ٣١ / ٥ / ١٩٤٦

١٣١ - الإخوان المسلمون ٢ /٦ / ١٩٤٦

١٣٢ - الإخوان المسلمون ٢ /٢ /١٩٤٦.

فيه هذه الواقعة. وأكدت أن الأخوان يتجسسون فى صفوف العمال لحساب البوليس.[١٣٣]

وواصلت صحيفة الجماعة الدفاع عن موقف معلن وصريح يستهدف تصفية الإضراب وأكدت أن منظمى الإضراب «مهيجون محترفون».[١٣٤]

وعندما إنتهى الإضراب، وبدأت الحكومة وأصحاب الأعمال هجومهم العام على العمال، وصدر قرار بحل نقابة العمال بالمنطقة، قرر العمال الامتناع عن تشكيل نقابة جديدة واللجوء إلى القضاء لطلب إلغاء قرار الحل. وكان معلوما بوضوح أن تشكيل نقابة جديدة يعنى شطب القضية. ولكن الإخوان أعلنوا تشكيل نقابة جديدة لعمال شبرا الخيمة ووجهوا بذلك ضربة شديدة للتقاليد النقابية..[١٣٥]

وقد أكد العمال رفضهم لهذه الخطوة بمقاطعتهم لهذه النقابة التى لم يزد عدد أعضائها عن ٢٠٠ عضو فقط[١٣٦] ولعل هذه الممارسات كانت كافية تماماً لعزلة الخط الإخوانى عن جماهير العمال برغم جاذبية الدين وتغلغله الشديد فى صفوفهم. وفى هذا الصدد يقول مؤلفا «العمال على ضفاف النيل»: « إن الظروف الموضوعية للطبقة العاملة، وأسلوب

---

١٣٣ - الوفد المصرى ٣ / ٦ /١٩٤٦.

١٣٤ - الإخوان المسلمون ٣ / ٦ /١٩٤٦.

١٣٥ - الاخوان المسلمون ١٩٤٦/٧/٥

١٣٦ - الجماهير ١٩٤٧/٥/٥.

وتصرفات جماعة الإخوان المسلمين في صفوف هذه الطبقة قد لعبت دوراً حاسماً في فرض محدودية واضحة لدور الإسلام السياسي في حركة العمال المصريين». [137]

ويؤكد ذلك أيضا «ريتشارد ميتشل» قائلا.. أن عام ١٩٤٨ قد شهد تصفية شاملة لنفوذ الجماعة وسط العمال. [138] لكن الإخوان وبرغم ذلك كانوا يمتلكون مقومات أخري لتحقيق تواجد ما في صفوف العمال، فالإخوان جماعة غنية، حسنة التمويل، ومن ثم بدأت في تأسيس العديد من المصانع التي حرصت ألا يعمل فيها إلا أعضاء في الجماعة.. وفي سبتمبر ١٩٤٨ أسست الجماعة «مصنع الإخوان المسلمين للغزل والنسيج بشبرا الخيمة» ونظراً للأهمية البالغة لمنطقة شبرا الخيمة فقد تولى إدارة المصنع محمد شريف رئيس قسم العمال بالجماعة وكان المصنع يضم ٤٠ آلة و ٦٠ عاملاً. [139]

ولم يكن هذا المصنع وحده، ففي ديسمبر ١٩٤٨ كانت الجماعة تمتلك الشركات التالية:

- شركة الإخوان للصحافة.
- شركة الإخوان للطباعة.
- شركة الإعلانات العربية.

---

137 - beinin - ibid p. 365
138 - mitchell - ibid - p.280
139 - mitchell - ibid p.282.

- شركة المعاملات الإسلامية.
- شركة العربية للمناجم والمحاجر.
- شركة التجارة والأشغال الهندسية.
- شركة التوكيلات التجارية بالسويس
- شركة مزرعة العركي (- - ٨ فدان)(١٤٠-)

وكان العاملون بهذه الشركات جميعاً يشكلون قاعدة مضمونة للجماعة، كما أن ثراء الجماعة (هناك تأكيدات عديدة بتمويل أجنبي) قد مكنها من إعطاء مزايا للعمال الأعضاء فيها، وتؤكد جريدة الرخوان أن «فرع شبرا الخيمة في قسم العمال بالجماعة كان يصرف للعمال المتعطلين من أعضاء الجماعة كامل مرتباتهم».(١٤١)

ولعل مما يثير الدهشة أن يؤكد نقابي يساري وهو محمد متولي الشعراوي أحد قادة النشاط النقابي في شركة مصر للغزل الرفيع بكفر الدوار «أنه في عام ١٩٤٨ وعندما بدأ نشاطه النقابي يتسبب في تصادمه مع الشركة إنضم لجماعة الاخوان وسدد إشتراك شهرين كي يحصل على ضمانة مالية لمستقبله»(١٤٢)

كذلك فقد إستخدمت الجماعة مختلف أشكال الضغط لضم العمال لصفوفها، وتنشر أحدى الصحف الوفدية «أن أحد رؤساء العمال في

---

١٤٠ - الإخوان المسلمون ١٣/٥/١٩٤٦.
١٤١ - الوفد المصرى ٢١/٥/١٩٤٦.
142 - beinin - ibid p.379

شركة النيل بشبرا الخيمة وكان من الاخوان المسلمين حاول أن يضم أحدة قادة العمال للجماعة فلما رفض فصله من العمل، وهنا قام العمال بالاعتصام في المصنع مطالبين بعودة زميلهم للعمل» . ويقرر القادة النقابيون فى شبرا الخيمة أنه فى أعقاب إسهام الإخوان فى إفشال الإضراب الكبير(١٩٤٦) بدأ أصحاب المصانع فى تعيين العديد من الاخوان كرؤساء للعمال ليضمنوا خصومتهم لاى توجه يسارى وسط العمال.. وقد مكن ذلك الجماعة من إستقطاب عدد محدود من العمال وأن كان قد أكسبها كراهية ونفوراً وسط الجموع العمالية.

ولعل أحد الادلة الهامة على ضعف النشاط العمالى للجماعة أن المذكرة التفسيرية للأمر العسكرى الصادر بحل الجماعة فى عام ١٩٤٨ تتحدث عن نشاط الجماعة تفصيلا فتشير إلى نشاطها وسط الطلبة والموظفين والفلاحين ولا إشارة واحدة للنشاط وسط العمال.. إن ثلاثة عشر بنداً تتضمنها المذكرة تفصيلا أنشطة الجماعة فى مختلف مناحى الحياة ولا إشارة واحدة للعمال(١٤٣) .

ويفسر البعض ذلك بأن نشاط الجماعة وسط العمال كان دوماً فى خدمة أجهزة الأمن وبالتنسيق معها .

وعندما عادت الجماعة للنشاط فى نهاية ١٩٥٠ حاولت أن تتخطى

---

١٤٣ - الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل حماعة الاخوان المسلمين الصادر فى ٨ ديسمبر - المذكرة التفسيرية المقدمة من عبد الرحمن بك عمار، وكيل وزارة الداخلية.

أخطاء الفترة السابقة، وأن تواكب المد الثورى الملتهب والذى أتخذ منحى ثورياً..وأن تتكلم بلغته كى تكسب موقعاً ما وسط صفوف العمال. فكتب سيد قطب كثيراً عن إشتراكية الإسلام.. وتنشر مجلة «الدعوة » مقالات ملتهبة تهاجم الرأسماليين (لأول مرة) وتدافع عن حق العمال في الإضراب (بعد أن أكدوا من قبل أنه ضد تعاليم الإسلام).. وثمة مقال لمحمد الفولى بعنوان: أيها الرأسماليون لا تحاربوا النقابات ، يهاجم فيها قانون ١٩٤٠ لأنه يحرم تكوين إتحادات عمالية، كما أنه يحرم العمال من حق الاضراب الذى هو سلاحهم الوحيد فى مواجهة بطش الرأسماليين بهم ويحقوقهم.[١٤٤] .

لكن هذا التطور لم يستمر سوى فترة قصيرة جداً ولم يثمر نفوذاً ما وسط العمال. .وبدت الجماعة وكأنها تفقد أملها فى هذه الطبقة، وفى وجود نفوذ حقيقى لها فى صفوفها، ومن ثم راهنت ومن جديد علي القوى الأخرى.

وعندما قامت ثورة ١٩٥٢ ، كانت تتنازعها مواقف متعددة إزاء قضية الطبقة العاملة، وإختار الإخوان الانحياز إلي أكثر العناصر محافظة وعداء لحقوق العمال..

وفى الإيام الأولى للثورة تولى د. محمد فؤاد جلال وزارة الشئون الاجتماعية وهو معروف بأنه من رجال «جمعية الفلاح» ذات التوجه

١٤٤ - الدعوة ٢٨ /٨ /١٩٥١.

اليميني الواضح وكان يشرف علي أعمال الوزارة من قبل مجلس الثورة الضابط المعروف بتوجهه اليميني وعلاقاته الوثيقة بالسفارة الأمريكية عبد المنعم أمين (وكان أيضا رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمت العاملين خميس والبقري بتهمة تنظيم إضراب في كفر الدوار وحكمت عليهما بالإعدام) ومع هذين الاثنين بالتحديد عمل كمساعد ومستشار للشئون العمالية سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين.

ويروي فتحي كامل وهو قائد نقابي مخضرم كيف أنه ذهب إلى وزارة الشئون الاجتماعية ليتفاوض بشأن تكوين إتحاد عام للعمال.. وحضر الاجتماع الوزير محمد فؤاد جلال، والضابط عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة، وشخص لم يعرفه أول الأمر ثم عرف فيما بعد أنه سيد قطب.. ويقول فتحي كامل أن سيد قطب كان أكثر الحاضرين رفضاً لفكرة الاتحاد العام، وأكد أن النقابات بحاجة أولاً إلى أن تطهر صفوفها من الشيوعيين (١٤٥)

ولعله من الضروري الإشارة إلى أن الجماعة بينما كانت تتخذ من خلف الستار مواقف معادية للعمال، كانت وفي هذه الفترة بالذات - وكما رأينا من قبل- تتخذ موقف المزايدة علي الجميع مدعية الدفاع عن العمال.

وكان من الضروري أن يتواجه اليسار والإخوان في كل موقع

---

١٤٥ - أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشوءها وحتى ١٩٥٢ ص٨٠٩.

عمالى.. فعلى أثر التداخل الصريح لممثل الجماعة لدى وزير الشئون الاجتماعية في فرض توجهات معادية للعمال ومنها الإصرار على بقاء المادة ٣٩ من قانون عقد العمل الفردى التى كانت تجيز الفصل التعسفى للعمال .. قدم خالد محيى الدين أحد القادة اليساريين البارزين بحركة الضباط وعضو مجلس قيادة الثورة إستقالته من المجلس إحتجاجاً..

وجاء فى خطاب إستقالته «إننى قد فقدت القوة الدافعة علي العمل نتيجة أننى أرى أن أقل ما كانت تصبوا إليه نفسى من أفكار ومبادئ لا أستطيع تنفيذها » .. ويعلن فى الاستقالة رفضة لهذه المادة «التى أعتبرها ظلماً فادحاً على فئة العمال التى تعتبر العمود الفقرى لأى أمة تريد أن تبنى مكانها اللاتق بين الأمم»(١٤٦)

ومرة أخرى يهزم التوجه الإخوانى إزاء العمال فقد إستطاعت إستقالة خالد محيى الدين أن تستقطب إلى جانبه جمال عبد الناصر الذى كان متغيبا عن الجلسة التى وقع فيها الصدام.. وعقدت جلسة جديدة ، وتم إتخاذ موقف جديد، وبدأ نفوذ سيد قطب يتقلص في مجال وزارة الشئون الاجتماعية، وما لبث أن أبعد عن موقعه..

ولعل مواقف كهذه قد إنعكست بالسلب أيضاً علي علاقة الإخوان

١٤٦- رسالة خطية موجهة من خالد محيى الدين عضو مجلس الثورة إلى حضرة المحترم جمال عبد الناصر وكيل مجلس الثورة - مؤرخة ١ /٣ /١٩٥٣ (مسودة خطية).

بالعمال..

ويمكن القول أن هذه العلاقة ظلت وحتى الآن محدودة، فبرغم تصاعد المد الإسلامي وتزايد نفوذ الجماعات الإسلامية ومنها الإخوان المسلمين وسط فئات المجتمع المختلفة، وبرغم تزايد نفوذ الإخوان في عدد من النقابات المهنية (المهندسين - الأطباء) فإن المرشحين الإسلاميين قد فشلوا فشلاً ذريعاً في إنتخابات النقابات العمالية الأخيرة.

ولعل ذلك كله ليس منفصلاً عن مجمل مواقف الجماعة سواء الأيديولوجية منها أو العملية.

* * *

وبعد كل ذلك وفي يناير ١٩٤٨ أعلن البوليس أنه إكتشف بمحض الصدفة مجموعة من الشبان تتدرب سراً على السلاح في منطقة جبل المقطم، وأنه بمداهمة المجموعة - التي قاومت لبعض الوقت - ضبط البوليس ١٦٥ قنبلة ومجموعات من الأسلحة.. وقال زعيم المجموعة سيد فايز (وكان إسمه جديداً تماماً على البوليس برغم أنه كان أحد القادة الأساسيين للجهاز السري) «إن السلاح يجري تجميعه من أجل فلسطين وأن الشباب يتدرب من أجل فلسطين» ، وقال «أنهم اشتروا السلاح من العرب (البدو) من أجل العرب (الفلسطنيين)»[١٤٧] ..

---

١٤٧ - المصري، ٢٤ -١ -١٩٤٨.

وتحت ضغوط ووساطات من الجماعة أفرج عن سيد فايز وزملائه..

لكن أنظار البوليس بدأت تتجه ناحية شباب الجماعة.

وتكون الخطوة الثانية فى ٢٢مارس ١٩٤٨ عندما يقتل إثنان من الإخوان المستشار أحمد بك الخازندار، وذلك بسبب إصداره حكماً قاسياً على عضو بالجماعة سبق أن أتهم بالهجوم على مجموعة من الجنود الإنجليز فى أحد الملاهى الليلية، ويكتشف البوليس الصلة بين الشابين و بين مجموعة المقطم وبين جهاز سرى مسلح داخل جمعية الإخوان المسلمين.. ويقبض لوقت قصير علي المرشد نفسه، ولكنه لا يلبث أن يفرج عنه لعدم توافر الأدلة[١٤٨].

وإذا كان أعضاء الجماعة قد إستنكروا الحادث علنا (كعادتهم دوماً)، فلابد أن مشاعر مختلفة كانت تهتز فى داخلهم، فالجهاد حق، وهو واجب، والقتيل إرتكب جرماً فى نظرهم لأنه حكم بالسجن على شاب مسلم عضو بالجماعة لأنه هاجم مجموعة من الكفرة المحتلين أعداء الاسلام .. ولعل مثل هذه المشاعر لم تكن جديدة علي مصر .. فعلى أثر إنتشار موجة الاغتيالات وخاصة اغتيال أحمد ماهر، وأمين عثمان، وغيرهما تحولت ساحات المحاكم كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى «إلى منابر لتمجيد القتل والجريمة»[١٤٩]

---

١٤٨ - آخر ساعة، ٢٤ - ١١ - ١٩٤٨.

١٤٩ - عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب الثورة المصرية، جـ ٣ ، ص٢٦٧.

ولم يكن هذا الحادث سوى مقدمة.

فقد كانت حرب فلسطين تشتعل ، وإذ أسهم الإخوان المسلمون فى إشعالها فقد أسهموا أيضاً - وبقدر متزايد - فى إذكاء مشاعر عنصرية ضد اليهود المصريين، وحاولوا جهد طاقتهم تحويل المعركة من عرب ضد إستعمار وصهيونية، إلى مسلمين ضد يهود.

وكان طبيعياً أن يسهم الجهاز الخاص المدجج حتى أسنانه بالسلاح، والمستفز المشاعر، سواء بسبب تعثر مسيرة القتال وخيانة الحكومات العربية العميلة، أو بسبب القبض على «أخوة الجهاد» الذين قتلوا الخازندار .. كان طبيعياً أن يسهم فى إذكاء نيران التعصب الدينى مستخدماً الديناميت..

وفى ٢٠ يونيو ١٩٤٨ إشتعلت النيران في بعض منازل حارة اليهود، وفى ١٩ يوليو تم تفجير محلى شيكوريل وأركو وهما مملوكان لتجار من اليهود.

وإذ توقع الهدنة الأولى فى حرب فلسطين يستشعر الناس ريح الخيانة والتسليم، ويسرع الديناميت ليتكلم فى الداخل ضد اليهود المصريين، بعد أن أحبطت الجهود ضد الصهيانية في فلسطين.

ويكون الأسبوع الأخير من يوليو والأول من أغسطس هما أسبوعى الرعب بالقاهرة حيث تتوالى الانفجارات في ممتلكات اليهود وتهتز المرة تلو الأخرى شوارع قلب العاصمة بتفجيرات عنيفة راح ضحيتها الكثيرون، وخلال أسبوعين دمرت محلات بنزايون وجاتينيو وشركة

الدلتا التجارية ومحطة ماركوني للتلغراف اللاسلكى.[١٥٠] وفى ٢٢ سبتمبر دمرت عدة منازل في حارة اليهود ثم وقع إنفجار عنيف في مبني شركة الإعلانات الشرقية [١٥١]

. ولسنا بحاجة إلى القول بأن الضحايا كانوا كثيرين وأنهم جميعاً من الأبرياء..

وكانت أعين البوليس التى إستيقظت مؤخراً قد إكتشفت أحد أطراف الخيط، إذ ضبطت ترسانة سلاح ضخمة في عزبة بالإسماعيلية يمتلكها الشيخ محمد فرغلي قائد كتائب الإخوان في فلسطين..

وفي ١٥ نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة..

تقول مصادر البوليس أن ضبط السيارة تم مصادفة، ولو أن الكثيرين يستبعدون ذلك، وعلي أية حال فإن واقعة سيارة الجيب قد وضعت يد البوليس فى ضربة من ضربات الحظ على إثنين وثلاثين من أهم كوادر الجهاز السرى، وعلى وثائق وأرشيفات الجهاز بأكمله بما فيها خططه وتشكيلاته وأسماء الكثيرين من قادته وأعضائه [١٥٢]

---

١٥٠ – المصرى ٢٠، ٢١، ٢٩ يوليو ، ١، ٤ أغسطس ١٩٤٨.

151 - Resner,Lawrence - Eternal Stranger:The Pilght of Modern Jew From Bagdad to Casablanca, New York (1951) P116.

١٥٢ – قضايا الإخوان – قضية سيارة الجيب: الحيثيات ونص الحكم – دار الفكر الإسلامى – القاهرة (١٩٥١).

وكان البنا قد أمضى معظم شهر أكتوبر وبضعة أيام من نوفمبر مؤدياً فريضة الحج، فما أن عاد تعرض للقبض عليه بمقولة وجود دليل ضده في سيارة الجيب المضبوطة، وبمقولة مسؤوليته المباشرة عن حادث نسف شركة الإعلانات[١٥٣]

وخرج البنا من السجن ليبذل جهوداً لإيقاف عجلة الأحداث محاولاً إنقاذ الجماعة من الوقوع فريسة لنظام أصبح غير راض عنها، بل وراغب في الخلاص منها..

لكن سرعة الأحداث كانت تفوق قدرة الشيخ علي الحركة..

والشيخ الذى إعتاد المناورة بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصراً تماماً عاجزاً عن الفعل، فالقصر والسعديون حلفاء الأمس القريب، والذين شجعوا الإخوان، ونظروا لتحركهم بإتجاه قضية فلسطين بعين الرضا بغية صرف الأنظار عن معركة الجلاء عن مصر، وعن قضايا الداخل المختلفة، بدءوا يخونون قضية فلسطين كما خانوا من قبل قضية مصر..

والبنا الذى شحن نفوس أتباعه وإلى أقصى مدى بالمشاعر الإسلامية المتوترة تجاه قضية فلسطين يجد نفسه مطالباً إما بأن يواجه القصر والحكومة وإما أن يواجه أتباعه.. وحاول أن يتخذ موقفاً وسطاً، ولعله راح ضحية هذه المحاولة.

---

153 - Mitchell - ibid. p.64.

وكان شباب الجامعة من الإخــوان وغـيرهم يغلي رفضاً للشروط المهـينة التى خضــــعت لهـا الحكومة في إتفاقـية الهدنة في فلسطين، ولعل البنا حاول أن يلعب بآخر أوراقه (نفوذه وسط طلاب الجامعة) ، ليخفف قبضة الحكومة عن عنق الجمـــاعة، وخــــرج البوليس ليردعهم كعادته هذه الأيام، ودارت معارك مسلحة أمام فناء كلية طب القصر العينى أحد مراكز القوة بالنسبة لطــلاب الإخوان.. وإستخدم البوليس الرصاص، واستخدم الإخوان المتفجرات، وإذ كان حكمدار العاصمة سليم زكي يقود المعركة من ســــيارته (تلك السيارة التى ركبها حسن البنا منذ أقل من عــام ونصــف ليـهـدئ المتظاهرين)، سددت نحـوه قنبلة أصابته إصابة مباشرة.. وإتهم بيان حكومى جماعة الإخوان المسلمين بقتله..

وعلي أثر ذلك، صدر قرار من الحاكم العسكرى، (كانت الأحكام العرفية معلنة بسبب حرب فلسطين) بإيقاف صحيفة الجماعة .. وحاول البنا يائساً إنقاذ الجماعة.. إتصل بكل أصدقائه وحتى خصومه، ولعب بكل أوراقه، حاول الاتصال بالملك، بإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى، وبعبد الرحمن عمار (صديقه الشخصى وصديق الجماعة) وكان وكيلاً لوزارة الداخلية.

ولأن الشيخ قد فقد أسباب قوته، بدأوا يتلاعبون به ،ففى الساعة العاشرة من مساء يوم ٨ ديسمبر إتصل به عبد الرحمن عمار وأكد له أن شيئاً ما سيحدث لتحسين الموقف، وإنقاذ الجماعة. وإطمأن الشيخ

وقبع هو ومجموعة من أنصاره في المركز العام ينتظرون «الإنقاذ» فإذا بالراديو يذيع عليهم قرار مجلس الوزراء بحل الجماعة بناء على مذكرة أعدها عبد الرحمن عمار نفسه.

وإذ حاول البعض الخروج من مقر المركز العام وجدوه محاصراً وإقتحمه البوليس ليلقى القبض على كل من فيه بإستثناء البنا.. الذى ترك طليقاً بحجة أنه لم يصدر أمر باعتقاله[١٥٤].. وكانت حريته هذه هى عذابه ونهايته.

وإشتملت مذكرة عبد الرحمن عمار المرفوعة إلى مجلس الوزراء بشأن طلب حل جماعة الإخوان المسلمين على قرار إتهام طويل يعيد إلى الأذهان كل أعمال العنف التى إرتكبتها الجماعة، حتى تلك التى إرتكبتها بإيعاز من السلطات ولخدمة مصالحها.

فمن بين التهم الثلاث عشرة التى ساقتها المذكرة نجد:

* أن الجماعة كانت تعد للإطاحة بالنظام السياسى القائم وذلك عن طريق الإرهاب مستخدمة تشكيلات مدربة عسكرياً هى فرق الجوالة.

* مسئولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين (وفدى) في بور سعيد.

* مسئولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات (حادث المقطم - مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلى - ضبط مصنع

---

١٥٤ - الدعوة، غرة ربيع الأول ١٣٩٧ (فبراير ١٩٧٧) - تصريح لسعد الدين الوليلى، السكرتير الخاص للشيخ حسن البنا بعنوان «ما هى الأسرار الحقيقية فى قضية إغتيال الشيخ حسن البنا».

للمتفجرات بالإسماعيلية)

* نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية.

* نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود.

* الاعتداء علي رجال الأمن أثناء تأدية وظيفتهم.

* إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على «تبرعات» و«إشتراكات» مدفوعة مقدماً لصحيفة الجماعة.

وبناء علي هذه المذكرة أصدر الحاكم العسكرى العام محمود فهمى النقراشى باشا قراراً عسكرياً من تسعة مواد تنص مادته الأولى: تحل فوراً الجمعية المعروفة باسم جماعة الإخوان المسلمين بشعبها أينما وجدت، وتغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها، وتضبط جميع الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال وعلى العموم كافة الأشياء المملوكة للجمعية.ويحظر على أعضائها والمنتمين إليها بأية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية وبوجه خاص عقد إجتماعات لها أو لإحدى شعبها أو تنظيم مثل هذه الاجتماعات أو الدعوة إليها أو جمع الإعانات، أو الاشتراكات أو الشروع في شئ من ذلك.. ويعد من الاجتماعات المحظورة فى تطبيق هذا الحكم إجتماع خمسة فأكثر من الأشخاص الذين كانوا أعضاء بالجمعية المذكورة. كما يحظر على كل شخص طبيعى أو معنوى السماح باستعمال أى مكان تابع له لعقد مثل هذه الاجتماعات، أو تقديم أى مساعدة أدبية أو مادية أخرى.

وتنص المادة الثالثة «على كل شخص كان عضواً فى الجمعية

المنحلة أو منتمياً لها وكان مؤتمنا على أوراق أو مستندات أو دفاتر أو سجلات أو أدوات أو أشياء أن يسلمها إلى مركز البوليس المقيم فى دائرته فى خلال خمسة أيام من تاريخ نشر هذا الأمر».

أما المادة الرابعة فتنص على تعيين «مندوب خاص مهمته إستلام جميع أموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يرى تصفيته، ويخصص الناتج للأعمال الخيرية أو الاجتماعية التى يحددها وزير الشؤون».

ودارت ماكينة العنف البوليسى ضد الاخوان .. هؤلاء الذين باركوا دورانها ضد خصومهم من الوفديين والتقدميين والشيوعيين فإذا بغول الديكتاتورية يبتلعهم هم أيضاً.

والمعتقلات التى إفتتحت فى ظل مباركة الإخوان وتهليلهم يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ (بمناسبة حرب فلسطين) والتى إستقبلت خصومهم السياسيين، أخذت تتوسع كى تستقبل الألوف من أعضاء الإخوان.

ويقول البنا انه قد تم فصل ١٥٠ موظفاً، وشرد من القاهرة وحدها إلى الوجه القبلى ٥٠٠ موظف، وأبعد عن كليات الجامعة والمدارس الثانوية نحواً من ألف طالب[١٥٥].

وحاول البنا جهد طاقته أن يوقف طوفان المحنة.. لكنه كان عاجزاً بالفعل . فالحكومة التى هادنها وهادنته، كانت تضرب بعنف وقوة مصممة على تصفية الإخوان، ورفض النقراشى كل محاولات البنا

---

١٥٥ – حسن البنا، القول الفصل.

للالتقاء به. والجماعة التى بناها الشيخ بعرقه وجهده، وشيدها بيديه لبنة لبنة عبر عشرين عاماً تنهار أمام عينيه، وجهازه السرى تتقطع خطوط إتصاله، فقد كانت ضربة سيارة الجيب قاصمة بالنسبة لقيادة الجهاز السرى، وشبكات إتصالهم، وإذ ضربت قيادة الجهاز فقد البنا إتصاله به بل، وفقد سيطرته عليه»[١٥٦]

وفى ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) وقعت الواقعة وصعدت المأساة إلى أعلى قممها إذ قام طالب فى الثالثة والعشرين من عمره (عبد المجيد أحمد حسن) بإطلاق رصاصتين محكمتى التصويب على رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا.

وشيع أنصار الحكومة جثمان رئيس وزرائهم هاتفين فى صراحة «الموت لحسن البنا»[١٥٧]

وأتى إبراهيم عبد الهادى ليدير ماكينة العنف الرسمى إلى أقصى مداها، ولتتسع دائرة الاعتقالات فى صفوف الإخوان فتشمل ٤٠٠٠ معتقل[١٥٨]، وتعرض بعض المعتقلين لأقصى درجات التعذيب الوحشى الذى لم تعرف له مصر مثيلاً من قبل، وباختصار «كانت الستة أشهر التالية لتولى إبراهيم عبد الهادى الحكم صورة راسخة فى أذهان المصريين جميعاً للسلطة الرسمية الغاشمة وقد إكتسب عبد الهادي لنفسه خلالها عداء كافة فئات الرأى العام المصرى»[١٥٩].

---

156 - MITCHELL - OP.CIT .P.67.

١٥٧ - المباحث، ٢٣ - ١ - ١٩٥١.

158 - CAHIERS DE LORIENT CONTEMPORAIne- II (1949)P.42.

159 - MITCHELL -ibid.P.67.

وفى زنازين التعذيب الرهيبة - والتى تناولت المتهم وأسرته رجالاً ونساءً - كان أقصى ما يؤلم الإخوان قيام أجهزة الأمن بتعليق الآية الكريمة «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الحياة الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم».

ولعل شكوكاً كثيرة قد ساورت هؤلاء الشبان من أعضاء الجهاز السرى وهم يعانون من التعذيب الوحشى فى جدوى عملية الإرهاب ضد خصومهم، وربما فى مدى مشروعيتها.

وفى مدى إنطباق «فكرة الجهاد» علي ما إرتكبوه من أعمال، ولعل فتاوي مفتي الديار المصرية ، وبيانات شيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء التى تدين أعمالهم قدأثرت فيهم كثيراً.

لكن الطامة الكبرى جاءت عندما إستنكر الشيخ البنا نفسه هذه الأعمال وإتهم القائمين بها بأنهم «ليسوا أخواناً وليسوا مسلمين»، وهنا إنهار المتهمون جميعاً، فقد كان صمودهم وإحتمالهم للتعذيب يستمد كل صلابته من «البيعة» التى أقسموا بها بين يدى الشيخ أو من يمثله فى حجرة مظلمة .. فاذا تخلي الشيخ عنهم وعن فكرة «الجهاد» كما لقنها لهم .. فماذا يبقي؟

ولقد صمد عبد المجيد حسن ثلاثة أسابيع كاملة فى مواجهة تعذيب وحشى ضده وضد أسرته، لكنه ما لبث أن إنهار تماماً عندما قرأ بيان

الشيخ البنا الذى نشرته الصحف [١٦٠]

والحقيقة أن نزوع الإخوان الى الأرهاب، كان خطأ فادحاً مكن الخصوم من إستخدام العنف الرسمى فى أقصى صورة ضدهم.

كذلك فقد عزلهم هذا الإرهاب عن الكثير من القوى التى إعتادت العطف عليهم أو النظر إلى دعوتهم بعين الرضا.

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لتجرم الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السرى.

* فتوى مفتى الدار المصرية تدين أفعال الجماعة وتتهم القائمين بها بالكفر.

* وبيان من هيئة كبار العلماء.

* وبيان ثالث من شيخ الأزهر.

* وساهم فى حملة الإدانة لأعمال العنف والإرهاب الإخوانية مفكرون وكتاب يتمتعون باحترام جمهور الشعب العريض.

* د. طه حسين يقول: «ما هذه الأسلحة وما هذه الذخيرة التى تدخر فى بيوت الأحياء وفى قبور الموتى؟ ما هذا المكر الذى يكمن، وما هذه الخطط التى تدبر، وما هذا الكيد الذي يكاد، ولم كل هذا الشر، ولم كل هذه النكر، ولم رخصت حياة المصريين .. يقال أنها إنما رخصت بأمر الإسلام الذى لم يحرم شيئاً كما حرم القتل، ولم ينه عن شئ كما نهى

---

160 - MITCHELL -ibid.P.68.

عن التعاون علي الإثم والعدوان»[١٦١]

* وكامل الشناوى يقول «إننى حزين أن يوجد إنسان واحد، لا جماعة منظمة، يصنع الموت للناس ويحترف التخريب والتدمير، وإن قلبى ليقطر حزناً إذ كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الاسلام، وتجد من يصدقون دعواها.. إن الإسلام الذى يقول كتابه الكريم «وجادلهم بالتى هى أحسن» لا يقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات»[١٦٢]

لكن إستنكار الجهاز السرى وجرائمه لم يأت من خارج الجماعة فقط، بل لعله أتى أكثر ما أتى من داخلها ..بل من شيخها ومنشئها ومؤسس الجهاز السرى نفسه.

يقول منير الدلة عضو مكتب الإرشاد العام فى إعترافاته أمام المحكمة «..شفت الأستاذ حسن بعدما حصلت حادثة الخازندار، وكان مرهقاً ومتعباً جداً من الحكاية دى، وقال لى الإخوان قاموا بارتكاب الحادثة دى إزاى.. دى جريمة بشعة .. وبهذه المناسبة شكا لى من أن الفكرة من إنشاء أو تكوين الجهاز كانت تفهيم الإخوان معنى الجهاد فى نفوسهم ولكن بعض الأفراد إنحرفوا، وقال أن هذه الحوادث حصلت من غير ما يعلم بها، وكان فى غاية الألم».

---

١٦١ - جرائم عصابة الإخوان - المرجع السابق - ص١٩٣.
١٦٢ - المرجع السابق - ص١٩٣.

ويقاطعه رئيس المحكمة «إحنا ما بنكلمش عن الأستاذ البنا وأنه كان في غاية الألم، ألم تتكلم معاه في أن الجهاز ده يتبع مين؟».

ويجيب الشاهد «معنى الكلام ده إن الجهاز المفروض أنه يكون خاضع له، ولكن هو ما كانش خاضع له، وانه إرتكب الحوادث اللى إرتكبها من غير أمره.. وفى فترة الحل تجددت شكواه (البنا) ثانى مرة، وقال على حد تعبيره الحمد الله اللى إتحلت الجماعة علشان نخلص من البلوى دى ونصفيها»[١٦٣]

وإذ نترك هذه الشهادة الخطيرة .. بما فيها من معلومات تثير الدهشة معلقة في مسـؤولية قائلها فإننا نلاحظ أن ثمة شهادة أخرى تؤكدها، وهى شهادة السيدة منيرة عامر حرم صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين والصديق الشخصى لحسن البنا.. وفى شهادتها أمام المحقق فى إغتيال حسن البنا بجلسة ١٨ نوفمبر ١٩٥٣ تقول «الشيخ البنا كان يحضر لمقابلة صالح حرب باشا لكي يتفق مع الحكومة، وكان الواسطة بين الطرفين الأستاذ مصطفى مرعى، وأنا كنت أسمع أن الأستاذ البنا متألم، وسألته قال أنه بعد قتل الخازندار الأمور خرجت من أيده وقال: وأنا عاوز أمسكهم ولكن مش قادر»[١٦٤].

---

١٦٣ - محكمة الشعب جـ ٢ - محاكمة حسن الهضيبى (شهادة منير الدلة) ص ١٢٣٦ - ١٢٣٧.

١٦٤ - محضر تحقيق النيابة فى قضية مقتل حسن البنا (الجناية ١٠٧١ - ١٩٥٢) جلسة يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٣ - (شهادة السيدة منيرة عامر) ص٢٥٩ وما بعدها.

ونمضى لنتابع مواقف بقية قادة الجماعة من أعمال الإرهاب.

.. يقول حسن الهضيبى خليفة حسن البنا فى إعترافاته أمام المحكمة «لما جيت فى الإخوان المسلمين فى سنة ١٩٥١ تبين لى أن عندهم شئ اسمه النظام الخاص، فأنا سألت إيه الغرض من هذا النظام. وإيه مرماه؟ وتعملوا بيه إيه ؟ خصوصاً بعد ما ثبت أنه إرتكب جرائم قبل ذلك فى السنوات ٤٦ - ٤٧ - ٤٨، وكل هذه الجرائم إرتكبت طبعاً فى إنحراف أو خروج عن الغرض الأصلى»(١٦٥).

وقائد ثالث من الإخوان - محمد عبد المعز محمد عبد الله - يقول فى شهادته أمام المحكمة:

«- الدفاع: قتل النقراشى حلال؟

- الشاهد: جريمة.

- الدفاع: وقتل الخازندار حرام؟

- الشاهد: أيوه؟

- الدفاع: إسلام أو كفر؟

- الشاهد: كفر

- الدفاع: وقاتله؟

- الشاهد: يدخل النار.

- الدفاع: فى عهد من قتل الخازندار؟

---

١٦٥ - محكمة الشعب - جـ ٤ - محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة حسن الهضيبى). ص٧٨٨

- الشاهد : فى عهد حسن البنا.

- الدفاع: والنقراشى؟

- الشاهد: في عهد حسن البنا.

- الدفاع : ومن يقر القتل كافر أو مسلم؟

الشاهد: ....»[١٦٦]

وقائد آخر من قادة الجماعة هو محمود الحواتكى يتكلم أمام المحكمة.

«- الدفاع: هل إغتيال الخازندار من ضمن الأخطاء؟

- الشاهد: نعم.

- الدفاع: والذين إرتكبوا هذه الأخطاء مسلمين أو غير مسلمين؟

الشاهد: إنخلعت عنهم ربقة الإيمان.

- الدفاع : هل تعتقد أن الذين يقرونهم ويوافقون على هذه الجرائم مسلمين أو غير مسلمين؟

- الشاهد: غير مسلمين؟

ومضى الشاهد فى إعترافاته مؤكداً أنه فى أيام حسن البنا كان الذى يخرج على الجهاز السرى يقتل»[١٦٧]

---

١٦٦ - محكمة الشعب - جـ٢ - محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة محمد عبد المعز محمد عبد الله).

١٦٧ - المرجع السابق، شهادة محمود الحواتكى. ص٢٥٤.

أما الدكتور خميس حميدة وكيل جماعة الإخوان فيجيب أمام ذات المحكمة على سؤال عن نشاط الجهاز السرى قائلاً:

«- الرئيس : وده صح؟

- الشاهد: غلط

- الرئيس : غلط؟

- الشاهد : نعم

- الرئيس : يفهم من كده أن جماعة الإخوان المسلمين غلط؟

- الشاهد: إلى أبعد حدود الغلط».

ويسأله الرئيس هل تعتبر عمل محمود عبد اللطيف (الذى حاول إغتيال جمال عبد الناصر) من الأعمال المضادة للجهادية.. الإجرامية مثلاً؟

ويجيب وكيل جماعة الإخوان: «أنا أعتبر أن عمل محمود عبد اللطيف عمل إجرامى»[١٦٨]

ونترك هذا الحديث إذ بإمكانه أن يطول بغير حد. فسلسلة إعترافات الإخوان أمام المحاكم لا تنتهى.. فقط أردنا منه أن نثبت أن مقولة «الجهاد» التى قام على أساسها الجهاز السرى لم تكن واضحة وضوحاً كافياً ولا مستقرة إستقراراً كافياً ولا مقبولة قبولاً كافياً من كوادر الجماعة وقادتها.وعندما جاءت ردود الافعال الحكومية، وحانت ساعة

---

١٦٨ محكمة الشعب - جـ٣ - (شهادة خميس حميدة) ص٦٨٠.

العقاب، وعندما إنطفأ الزهو، وواجه الإخوان مصيرهم أمام سلطة البطش، إنهار الكثيرون مدلين باعترافات كاملة.. كان أخطرها تطوعهم بإدانة فكرة الجهاز السرى وتكفير القائمين عليه..

نترك ذلك .. ونعود إلى الشيخ حسن فى محنته القاسية.

كان الشيخ حسن البنا يعانى أكثر ما يعانى من حريته المفروضة عليه. وأكثر من مرة طالب خصومه بأن يضعوه فى المعتقل ولكنهم رفضوا، فقد إختمرت لديهم فكرة تصفية الشيخ.. تصفيته سياسياً، أولاً وبعدها يصفى جسدياً.

وقد كان..

وفى حريته كان الشيخ أكثر عذاباً من أتباعه المسجونين، فقد تركوه محاصراً، عاجزاً، ضعيفاً.. لقد إنفرط عقد الجماعة، والجهاز السرى تقطعت خطوطه، والبناء الشامخ ينهار، «ورهبان الليل وفرسان النهار» يتساقطون تحت آلة التعذيب ليدلوا باعترافات متكاملة تجر إلى الزنازين المزيد والمزيد من الإخوان.

والشيخ الذى كان ملء السمع والبصر، أصبح يستجدي مقابلة رئيس الوزراء مقدماً كل ما يستطيع من تنازلات .. ويأبى رئيس الوزراء أن يقابله.

وبالنسبة لرجل كحسن البنا، يكون وضع كهذا هو قمة المأساة.

وتحرك الشيخ المهيض الجناح في إتجاهين.. أن يسجل دفاعه عن نفسه وعن جماعته كتابة، وأن يحاول لعبة الوساطة والتنازل لعله ينقذ

شيئاً من تحت أنقاض الجماعة.

وكتب الشيخ آخر رسائله «القول الفصل» وشتان بينها وبين رسائله الأولى.

يبدأ البنا «القول الفصل» قائلاً: «لقد سمع الرأى العام المصرى والعربى والإسلامى قضية الإخوان المسلمين من جانب واحد، جانب الحكومة التى إعتدت على الهيئة بإصدار أمر عسكرى بحلها وهو الجانب الذى يملك كل وسائل الدعاية من الصحف الخاضعة للرقابة كل الخضوع، ومن الإذاعة التى تديرها وتهيمن عليها القلة، ومن الخطباء فى المساجد الذين هم موظفون حكوميون. لكن الرأى العام لم يسمع من الطرف الآخر، لم يسمع من الإخوان الذين حرموا كل وسائل الدفاع عن أنفسهم فصودرت صحفهم وعطلت أقلامهم وكممت أفواههم. وإعتقل كل خطيب لهم وإعتبر إجتماع كل خمسة منهم فى أي مكان جريمة أقل عقوبة لها السجن ستة أشهر.

ولهذا كان من الواجب أن نتقدم بهذا البيان للرأى العام المصرى والعربى والإسلامى وللضمير الإنسانى العالمى حتى لا يقع فى خطأ ما، ويظلم فى الحكم، ويحكم بسماع خصم واحد، وقد قيل : إذا جاءك خصم وعينه مقلوعة فلا تحكم له حتى ترى خصمه فقد تكون عيناه الاثنتان مقلوعتين»[١٦٩]

---

١٦٩ - حسن البنا، القول الفصل.

أما الأسلحة فقد كرر الشيخ مقولة انها «للمجاهدين من الإخوان المسلمين والفلسطينيين والهيئة العربية العليا الفلسطينية، والحكومة نفسها تعرف ذلك».

وإتهم البنا الحكومة أنها أصدرت قرار حل الجماعة تحت ضغط مذكرة ثلاثية تقدمت بها كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وبعد إجتماع لمثليها الدبلوماسيين بفايد في ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٨. وطالبت المذكرة بحل الجماعة.

وبعد أن سرد البنا أسباباً عديدة أخرى منها ستر الفشل في فلسطين والإعداد لمفاوضات جديدة مع الانجليز عاد ليركز على ما أسماه بالأصابع الخفية والدسائس «من ذوى الغايات الذين خاصموا الدعوة من أول يوم وتربصوا بها كاليهودية العالمية والشيوعية الدولية والاستعمار وأنصار الإلحاد والإباحية».وفي ختام «القول الفصل» قال البنا:

« وسنجاهد فى سبيل حقنا ما وسعنا الجهاد، فإن أعوزتنا الحياة الشريفة العزيزة فلن يعوزنا الموت الكريم المجيد».

لكن «القول الفصل» يقى مخطوطاً.. ولم ير النور إلا بعد وفاة الشيخ.

قلنا أن الشيخ قد لجأ إلى الوساطة .. والصحيح أنه قد وقع فى مصيدة الوساطة .. لقد إستدرجوه خطوة خطوة، ليقدم تنازلاً أثر تنازل وفى النهاية إغتالوه.

وقد رفض عبد الهادى مقابلة الشيخ، ثم أحال الأمر إلى إثنين من

أخلص أعوانه ليراوغا الشيخ ويستدرجاه أولاً إلى مصيدة التصفية السياسية.

ولنلق نظرة على على الصائدين.. ثم على المصيدة.

- المصيدة : إستدارج الشيخ إلى إصدار بيانات وإتخاذ مواقف تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف أمام أتباعه وجماهيره، وتؤدى إلى تدمير معنويات الإخوان المحتجزين، ثم فى النهاية تصفيته جسدياً بعد أن يصفى سياسياً.

يقول المدعى نائب الأحكام أثناء محاكمة إبراهيم عبد الهادى أمام محكمة الثورة بتهم من بينها تدبير اغتيال حسن البنا: «ولم يكن المتهم (عبد الهادى) مطمئناً إلى أنه بما أجراه من اعتقالات قد عزل المجنى عليه (حسن البنا) من أنصاره عزلاً تاماً بل ساوره الاعتقاد باحتمال أن يكون لفريسته أنصار آخرون لم يتيسر لرجاله الكشف عنهم ، ومن ثم فقد دس عليه بعض وزرائه فى صورة من يفاوضونه لإعادة جماعته سيرتها الأولى في مقابل أن يكشف له عن كل رجالها توطئة لاعتقالهم ..فلما لم يؤد هذا البحث إلى إثبات وجود أنصار آخرين للمجنى عليه إطمأن المتهم إلى أن الفرصة واتته ليجهز على فريسته وهى مجردة من كل نصير»[١٧١]

لكن كيف كانت تجرى المفاوضات بين «الصائد» و«الصيد»

---

١٧١ - محاكمات الثورة - الكتاب الأول (محاكمة إبراهيم عبد الهادى) ص١٨١.

..وكيف كان الشيخ المقصوص الأجنحة يجر جراً إلى المصيدة..

لنستمع إلى شهادة أقرب المقربين إلي حسن البنا، «أخو خديجة» كما أسماه يوماً ما.. صهره عبد الكريم منصور، إنه يستخدم نفس التعبير - بل لعلنا إستعرناه منه.. «علاوة على ذلك إستخدمت الحكومة الأستاذ مصطفى مرعى كأداة صيد.. لأن مصطفى مرعى إتصل بصالح حرب وقال له أنا عاوز أفاوض الإمام الشهيد.. وأخذ الأستاذ مصطفى مرعى بأساليب ملتوية ممقوتة يعمل على إبقاء الإمام الشهيد بالقاهرة موهماً إياه بأسلوب بهلوانى بأن الحكومة ستلغى أمر الحل وتتصالح مع الإخوان وتعود الأمور إلى ماكانت عليه».

ويسأله رئيس المحكمة : قلت فى كلامك أنه إتبع طرق ملتوية، فإية الطرق الملتوية دى؟

ويجيب الشاهد: «أيوه حاقول لكم يا أفندم. فهو كان بيوهم الإمام الشهيد أنهم جادون فى أن يعيدوا الإخوان المسلمين، ولكنه كان بيقول له بس لو سمحت تكتب لى بيان يثبت حسن نيتكم، وكان مصطفى مرعى يقول ألفاظ للأمام الشهيد، وكان الأمام الشهيد يعارض فى ألفاظ ملتوية كان يكتبها أويمليها مصطفى مرعى فيقوم يقول له.. دى مسألة بسيطة إذا كان ده ثمن إعادة الإخوان، وإذا كان ثمن التفاهم مع الحكومة فإيه المانع من كتابته؟ وبمجرد ما كتب هذا البيان أخذه مصطفى مرعى وأعطاه لرئيس الحكومة وعدل فيه وجابه للأمام الشهيد وقعد يقول له اللفظ ده يدخل واللفظ ده لايدخل . وهكذا قعد يعدل فى

البيان . وبعد ذلك بمجرد ما أخذ البيان منه أعطاه لقاتل النقراشي وقال له شوف الشيخ حسن البنا أهو أصدر بيان ضدك، وقعد يستثير به المتهم القاتل، وكان من نتيجة هذا الأسلوب الذى إتخذه مصطفى مرعى أن قاتل النقراشي قعد يتكلم كلام كثير، وأصبح أداة مطواعة في يد التحقيق يقول ما يمليه عليه المحقق ورجال البوليس السياسى »[١٧٢]

وهكذا فعندما يتردى السياسى فى هاوية التنازلات.. فلاعاصم. ويوقع البنا بياناً بعنوان «بيان للناس» إستنكر فيها الشيخ أعمال رجاله ورفاق طريقه، ودمغها بالإرهاب والخروج علي تعاليم الإسلام.

وكان البنا يلح على ضرورة الإفراج عن بعض رجاله معلناً أنه «لا يستطيع أن ينكر الأخطاء التى ارتكبها الإخوان وأنها قد هزته، إلى درجة أنه هو نفسه قد شعر بضرورة حل الجماعة »[١٧٣]. وقال أن التحكم فى سير الأحداث يحتاج إلى رجال معينين يمكن للشيخ من خلالهم السيطرة على الموقف .. لكن عبد الهادى لم يقتنع بمنطق الشيخ ولم يكتف بالبيان الذى أصدره، وأخذ مصطفى مرعى يلح علي ضرورة تسليم محطة الإذاعة السرية للإخوان وكل ما بقى لدى الإخوان من أسلحة »[١٧٤]

---

١٧٢ - المرجع السابق ، ص١٢٥.

١٧٣ - موسى إسحاق الحسينى، المرجع السابق، ص٣٦.

١٧٤ - جمال سليم، البوليس السياسى يحكم مصر - القاهرة للثقافة العربية (١٩٧٦)، ص١٩٩.

وبعد يومين من صدور «بيان للناس» قبض علي أحد قادة الجهاز السري وهو يحاول نسف محكمة إستئناف مصر. ولنترك الحديث للشاهد الأول في قضية إغتيال البنا محمد يوسف الليثى والذي كان في هذا الوقت عميلاً للبوليس السياسي ومكلفاً بمتابعة تحركات حسن البنا وهوأيضاً الذى إستدرجه يوم اغتياله .. يقول الشاهد « .. وحصل حادث نسف محكمة الاستئناف وأنا قابلت الشيخ البنا، وكان متأثراً جداً من هذا الحادث، وكان معتقداً أن الإخوان مش هم اللى عملوا الحادث، ولما عرف أنهم هم اللى عملوا الحادث زعل خالص وبكى وقال أنه لا تهمه الحكومة، وإنما يهمه الشعب الذى قد يصدق أن الأخوان المسلمين إرهابيون، وقال أنه إستعجب كيف حصل هذا الحادث؟ وحصلت بعد كده مفاوضات بينه وبين مصطفى مرعى بخصوص المعتقلين ، وصالح حرب باشا إتصل بمرعى بيه علشان يجتمعوا بالشيخ البنا.. ومرعى بيه قال للشيخ البنا تعمل بيان كما قلت لك فى الأول وأنت رفضت، ولذلك لازم تعمل بيان وإتفاهموا على إصدار بيان بعنوان «ليسوا أخواناً وليسوا مسلمين» ثم إستمرت الاتصالات»[175]

وعندما يدخل الصيد إلى المصيدة .. تكون التصرفات غير محسوبة .. ولنقرأ ما خطه الشيخ البنا بيده: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين».

«وقع هذا الحادث الجديد، حادث محاولة نسف مكتب سعادة

---

١٧٥ - محضر تحقيق النيابة فى قضية مقتل حسن البنا (الجناية ١٠٧١ - ١٩٥٢ - محضر أقوال محمد يوسف الليثى، ص٤٤.

النائب العام، وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان من الإخوان المسلمين فشعرت بأن من الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين لأن الإسلام يحرمها والإخوة تأباها وترفضها.ومن المرجح بل من المحقق أنه أراد به أن يتحدى الكلمة التى نشرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان «بيان للناس» ولكن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الأثيمة، وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته فى ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة.

وليعلم أولئك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التى يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد أحداً منهم إلا شعوراً بواجبه وحرصاً تاماً علي أدائه - فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم كل فى حدود عمله، إن كانوا يستطيعون عمل شئ نافع مفيد.وإنى لأعلن أننى منذ اليوم سأعتبر أى حادث من هذه الحوادث يقع من أى فرد سبق له إتصال بجماعة الإخوان موجها إلى شخصى ولا يسعنى إزاءه إلا أن أقدم نفسى للقصاص وأطلب إلى جهات الاختصاص تجريدى من جنسيتى المصرية التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء، فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون، وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، ولله عاقبة الأمور.

«حسن البنا»

وهكذا إمتص المفاوضون البرتقالة إلى آخر قطرة.

والشيخ الذى يعيش فى قفص الحرية يعانى أكثر من رجاله فى السجن..

ويتعرض لضغوط مريرة عنيفة .. آلاف الأسر بلا عائل، إخوانه فى السجن، وهو بلا حول ولا طول.

وبيانه الأول أثار إستياء أعضاء الجماعة بالسجون ويقال أنهم وجهوا له رسالة إنذار يقولون فيها أنهم يعتقدون «أن البيان مدسوس فإن كان صحيحاً فإن يوم الحساب آت بعد الإفراج عنا »[176]

ويكون تحدى من بقى بالخارج لبيان الشيخ محاولة نسف محكمة الاستئناف.. الرجل بين فكى كسارة البندق سجين ضغوط خصومه، وضغوط رجاله، لكنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً.

وماذا بقى من الشيخ..

رجاله فى السجون يبعثون له يهددونه، ومن بقى خارج السجن يتمرد عليه، وهو يتهم أخلص خلصائه.. الذين أقسموا له على المصحف والمسدس يمين الطاعة التامة فى المنشط والمكره.. يتهم «رهبان الليل وفرسان النهار» بأنهم «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين».

بل ويتردى إلى مديح الحكومة التى تعذب رجاله أشد العذاب، ويقول أنها حريصة علي أمن الشعب وطمأنينته «فى ظل جلالة الملك

-176 - Mitchell - ibid p.69.

المعظم».. بل ويحرض الشعب علي التعاون مع الحكومة «للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة».

«رهبان الليل وفرسان النهار» أصبحوا فى آخر بيان للشيخ «أولئك من العابثين» وجهادهم أصبح «سفاسف».

ولا يبقى للشيخ ما يقوله.. سوى أنه سيطلب تجريده من جنسيته المصرية «التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء»؟

وقرر القتلة أن يطلقوا الرصاص علي جثته.

سحبوا منه سيارته ثم مسدسه المرخص ثم سحبوا الحراسة المحيطة به، واستدرجوه إلى جلسة مفاوضات أخرى أوأخيرة.. وأطلقوا عليه الرصاص.

ويبقى معلقاً للبحث الدقيق .. التاريخ الحقيقى لوفاة الإمام الشهيد المرشد العام الشيخ حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى.

هل هو يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩. كما هو مثبت فى شهادة الوفاة..

أم هو يوم أصدر الشيخ بيانه «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»..

أم هو يوم أصدر«بيان للناس»..

أم قبل ذلك بكثير.. يوم سمح لنفسه أن يدخل ميدان السياسة من باب الموالاة للقصر.. ومخاصمة الشعب..؟

وقد أثبت التحقيق أن المدبر الأساسى لمقتل الشيخ حسن البنا كان الملك فاروق.

وأكد الإخوان أنفسهم أكثر من مرة أن الشيخ «قد أغتيل في يوم ١٢ فبراير (١٩٤٩) الموافق ١٤ ربيع ثاني سنة ١٣٦٨ هجرية.. يوم عيد ميلاد الملك السابق فاروق أحمد فؤاد فكان إغتياله هدية عيد ميلاد ملك جلب الدمار لشعبه»[١٧٧].

بل لقد وصل الأمر بالجماعة إلى أنها طلبت رسمياً من المحكمة التي عقدت في أعقاب ثورة يوليو لمحاكمة قتلة الشيخ حسن البنا، تقديم متهمين جدد على رأسهم الملك السابق فاروق وذلك باعتباره محرضاً وفاعلاً أصلياً.

ولأن القاتل الحقيقي كان فاروق على الاقل في نظر الجماعة.. فإن الباحث لا يستطيع أن يكتم دهشته - بل ما هو أكثر من الدهشة - إذ يجد في سجل تشريفات قصر عابدين يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥١.. أسماء عديد من قادة الإخوان، أتوا إلى أبواب قصر الملك، ليعربوا - مرة أخرى - لقاتل شيخهم، ربما عن ولائهم، وربما عن نسيانهم لدم شهيدهم. والتوقيعات ذات دلالة..

خليفة الشيخ البنا.. المرشد الجديد حسن إسماعيل الهضيبي.

أقارب الشيخ البنا.. شقيقه عبد الرحمن البنا وعضو مكتب الإرشاد العام.

وصهره عبد الحكيم عابدين وسكرتير عام الجماعة.

---

١٧٧ - الدعوة غرة ربيع الأول ١٣٩٧ (فبراير ١٩٧٧). ص٣٨.

وأقرب المقربين إليه من رجاله:

- صالح عشماوى.
- عبد القادر عودة.
- حسين كمال الدين.
- محمد الغزالى.
- عبد العزيز كامل.

وكلهم أعضاء فى مكتب الإرشاد العام.

وحتى السكرتير الخاص للإمام الشهيد وكاتم أسراره ورفيق رحلته الطويلة سعد الدين الوليلى أتوا به معهم ليوقع هو أيضاً معرباً عن ولائه للملك فاروق.

وطوال رحلتنا مع هذه الدراسة. تراكمت علامات إستفهام وعلامات تعجب كثيرة، وتكون علامة التعجب الأخيرة مثاراً لما هو أكثر من الدهشة.. وتساؤلاً حول مدى وفاء هؤلاء الموقعين لذكرى شيخهم وإمامهم ومرشدهم .. وحول مدى صدق ما يصيغون من تراتيل الوفاء لشيخ نسوا ذكراه على عتبات قصر قاتله!

* * *

.. التداعيات

وإذا كان حسن البنا هو البذرة الصالحة فإن سيد قطب هو الثمرة الناضجة.. أو على الاقل هذا هو رأى واحد من كبار رجال الجماعة. الصاغ صلاح شادى الذى كان مسئولا عن قسم «الوحدات» بالجماعة

[الفرع الاكثر سرية من الجهاز السرى، فهو الفرع الخاص بأعضاء الجماعة فى الجيش والبوليس].

ولم يحدث أبداً ان وجه إخوانى أيا كان مرتبته أى نقد، أو شبه نقد لممارسات أو كتابات الاستاذ سيد قطب. وسيد قطب - وهو شخصية مثيرة لجدل شديد-* هو سيد عصر الارهاب الحالى. فكل الارهابيين المتأسلمين الذين ملأوا الدنيا قتلا وسفكاً للدماء هم «قطبيون» أي أنهم من أتباعه. وفي سجن طره بدأ سيد قطب فى إستقطاب أكثر عناصر شباب الجماعة تشدداً ليكوّن منهم تياراً ينتقد إعتدال البعض من رموز الجماعة، ويدعو إلى تكفير المجتمع [الحاكم والمحكوم على السواء] وكان من أبرز تلاميذه فى السجن «شكرى مصطفى» الذى

---

* فالذى يعرف السجون الناصرية وخاصة بالنسبة للخصوم السياسيين [اخوان وشيوعيين] يعرف ان سيد قطب قد عومل معاملة مثيرة للدهشة من فرط تميزها. فقد قضى أغلب فترات سجنه فى مستشفى سجن طره، فى حين أنه لم يكن المريض الوحيد الذى يستحق ذلك. وفيما كانت الأدوات الكتابية ممنوعة بشكل حاسم، أتيح له هو وحده أن يكتب فى السجن تفسيره للقرآن الكريم بمجلداته المتعدده بما يحتاجه ذلك من مراجع عديدة وأوراق وأقلام وكلها كانت ممنوعه. بل وأخرجت مسودات هذا التفسير من السجن لتطبع حتى وهو فى السجن، وهو أمر غير مسبوق.

كما كان سيد قطب هو الوحيد من السجناء السياسيين الذى صدر ضده حكم ثم أفرج عنه بعفو صحى. والمثير للدهشة أنه ما أن أفرج عنه حتى بادر وعلي الفور بإعاده تأسيس الجماعه من جديد على أساس كتابه «معالم فى الطريق» وبدأ فى الاعداد لحملة تفجيرات وإغتيالات منها إغتيال عبد الناصر.. ثم كان ما كان.

سرعان ما كون بعد خروجه من السجن «الجماعة المسلمة» التى أسميت إعلاميا بجماعة التكفير والهجرة ، ومن هذه الجماعة الشديدة التشدد والتى تعرضت لضربات قاصمة فى أعقاب إختطافها للشيخ الذهبى واغتياله .. تولدت جماعات عده لعل كل منها كان أكثر تطرفاً مما سبقه.

لكن الاستاذ سيد قطب هو صاحب نواة كرة الثلج التى تضخمت لتفرز لنا كل الارهابيين المتأسلمين من أعضاء «جماعة الجهاد» و «الجماعة الاسلامية» وما أفرزتاه من تكوينات تالية..

ولقد يتململ بعض الاخوان من نسبتهم إلى هذه التداعيات، لكن الشئ المؤكد أن أحداً لم يجرؤ أو يتجاسر ان ينطق بكلمة نقد واحدة لفكرة أو كلمة أو فعل من اقوال أو أفعال الاستاذ سيد قطب.

أليس هو «الثمرة الناضجة» للدعوة. وأليس هو «الأمل المرتجى للدعوة» كما أكد الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان علي زمن الاستاذ قطب؟

بل إن أحداً من الأخوان لم يوجه أى نقد أو إدانة لكل ما إرتكبه الارهابيون من مجازر . يتنصلون منها نعم . أما إدانتها وإدانة القائمين بها أو القائلين بضرورتها فلا.

ويبقى معلقاً فى عنق الجماعة كل فعل أو قول، وكل قطرة دم أريقت بأيدى المتأسلمين حتى يعلنوا براءتهم منها، ويعلنوا إدانتهم لها. والغريب ان هؤلاء المتأسلمون يسارعون من قبيل التفيقه، وسد منافذ الحياة أمام الناس بتحريم عشرات الافعال والاقوال والكتابات، لكن أحداً منهم لم يحرم حرفاً مما كتبه هؤلاء الارهابيون الجدد إبتداءً من سيد قطب وحتى عمر عبد الرحمن وعبود الزمر وأسامه بن لادن وأمثالهم. ولم يحرم فعلا مما فعلوا .هو فقط يقول لم أفعل . ولكن اين واجب المسلم فى تبيان الحق.. أليس «الساكت عن الحق شيطان أخرس»؟

* * *

تداعيات التداعيات:

ومع وجود قيادة للجماعة منغلقة على نفسها، ولا تمتلك لا الكفاءة الفكرية ولا التنظيمية التى إعتاد عليها الاخوانيون.

ومع بروز قيادات من الكوادر الوسطى إكتسبت فى ظل ظروف محددة بعضاً من وجود جماهيرى. وهى قيادات قدمت إلى الجماعه من صفوف «كرة الثلج» التى ولدها سيد قطب. أى من صفوف الجماعات الجهادية كما يسمونها. دخلوا الجماعه شبانا [طلابا أو خريجين جدداً] صعدوا خطوة أو خطوتين ثم .. كفى.

فالحصون العليا في قيادة الجماعة محصنة لا يمسها إلا «المقربون» إبن المرشد المؤسس وإبن المرشد التالى . أما هؤلاء الغرباء فلا مكان لهم فى قمم القيادة الاخوانية.

ثم بدأت القيادة تلعب لعبة غريبة. تورط قواعدها ولاتتورط هى. هم يسجنون وهى تنجو.

ولعل الأمن قد أسهم في هذه اللعبة ربما [أقول ربما] عن وعى.

الأمن يقبض على الكوادر الوسطى، يحاكمها، ويسجنها، بينما «القيادة» تعيش فى مأمن.

ويبدو غريباً. وربما مريباً أن يقبض على مئات من أعضاء القيادات الوسطى الاخوانية بتهمة الانضمام إلي الجماعة وهى تنظيم محظور،

وتكون الادلة كتابات ومطبوعات إخوانية كتابها ومؤلفوها من أعضاء مكتب الارشاد الذى يعيش حراً طليقاً، بل ويعلن أعضاؤه عن مواقعهم في الجماعة.

فالعضو يسجن لأنه يشتبه فى أنه منضم للجماعه، بينما الاستاذ مصطفى مشهور يعلن في كل يوم أنه المرشد العام.. والمستشار مأمون الهضيبى يعلن وعلنا أنه نائبه.

هذا المنطق المفتقد أثار حفيظة الكوادر الوسطى، خاصه وأن المواقع القيادية قد حجبت عنها قصراً.

وان الجماعه تفتقد أى شكل من أشكال الديمقراطية، فأيه ديمقراطية مع من بايعته «أميرا» أو «مرشدا» . بايعته «على السمع والطاعة فى المنشط والمكره» ومن تلقنت دوما انه يتحتم عليك أن «تطيعة وإن ضربك على ظهرك وبطنك»؟ وأية ديمقراطية فيما أسمى ببيعة المقابر؟، حيث وبشكل مفاجئ بُويع الاستاذ مصطفى مشهور مرشداً للجماعة خلال مراسم دفن المرشد السابق.. بايعه المشيعون دون ترتيب، ودون إحتراز من أن يكون المبايعون لا يمثلون الجماعة تمثيلا حقيقياً.أو حتى لايكونون اعضاء فيها.

وأية ديمقراطية مع مرشد عام هو واحد من الرعيل الاول لمؤسسى الجهاز السرى الذى يفرض طاعة مضاعفة، وخضوعاً لا نقص فيه.

وهكذا بدأ التململ فى صفوف الكوادر الوسطى، وظهرت تداعيات جديدة . إنشقاقات من الجماعة بعضها أسمى نفسه «حزب الوسط» [تحت التأسيس] والآخر حزب الشريعة[أيضا تحت التأسيس]

وآخرون كثيرون.. متمردون صامتون، أو منسحبون دون ضجيج، أو يستعدون لذات الشئ.

لكن التداعيات ومهما حاولت أن تتزين تبقى مفعمة بثوابت الأصل. مثله، مثقله بكل نوازعه وكل مقولاته المتأسلمه. وإن تزينت أو تجملت أو حاولت..

* * *

ذات يوم شاهد هارون الرشيد سحابةً تسرع بعيداً دون أن تمطر فوق بغداد، فنظر إليها متهكما وقال: أمطرى حيث شئت، فخراجك سيأتينى». وأكاد أتخيل فضيلة المرشد العام للاخوان في موقع هارون الرشيد ، أما السحابة فهى كل هذه التداعيات وتداعيات التداعيات لكن «الخراج» هنا دماء وقتل وإرهاب وتأسلم.

* * *

..**ونعود** لنؤكد ما كررنا من قبل أن الارهاب يبدأ فكراً. يبدأ بفكرة خبيثة متأسلمة، لا تلبث أن تقتاد صاحبها أو متلقيها خطوة خطوة فى طريق المفاصلة مع المجتمع، أو مع كل مختلف معه، ويصبح الآخر هو العدو، ولأن الفكر الدينى [الانسانى، النسبى الصحة] يروج له باعتباره ذات الدين [الإلهى المحتوى والكلى الصحة] فإن الآخر العدو يصبح بالضرورة الكافر.. الذى يجب أن يقام عليه حد الردة.

ونعود إلى حكاية عربية قديمة نتذكرها إذ نتحدث عن البذرة الخبيثة التى تتولد منها تداعيات متفجرة «إلتقى رجل صالح بإبليس، فعاتبه وناشده أن يكف عن أغواء البشر. فقال إبليس :أنا لا أغوى أحداً يامولانا.. أنا أضع البذرة وأتركها وأتركهم هم يفعلون كل شئ. ولما سأله الرجل الصالح كيف؟ إصطحبه إلى السوق وأمسك بخنفساء ووضعها علي الحائط بجوار كلب. لمح الكلب الخنفساء، إرتفع نباحه، وحاول القفز ليلتقط الخنفساء، ففزعت قطة كان مارة بالمصادفة، قفزت القطة من فزعها لتصطدم بحلوانى يقلى بعض الحلوى فى قدر من الزيت. أجفل الرجل، إنقلب الوعاء، وانقلب الموقد، فجرى الرجل خلف الكلب ليضربه. وأتى صاحب الكلب ليضرب الحلوانى، وأتى أنصار كل منهم وتشابك السوق مع بعضه البعض فى عراك ضار، بينما نار الموقد تمتد، تشعل المحل وتشعل كل محلات السوق.. ولم ينفض العراك الا

مع إحتـراق السوق بأكـمله . ونظر الرجل الصـالح إلى إبليس.. دون أن ينطق».

.. البـذرة الخبـيثـة هى تلك الافكار المتـأسلمـة.. والتـداعـيات هى إحتراق كل شئ.

والارهاب المتأسلم .. يبدأ فكرةً.أما إبليس فالجميع يعرفونه.

المـــراجـــع

• مؤلفات باللغة العربية ومترجمة.

- أبو الأعلى المودودى - نظريه الاسلام السياسية.
- أبو الحسن الندوى - مذكرات سائح في الشرق العربى.
- أحمد أنس الحجاجى - روح وريحان.
- أحمد أنس الحجاجى - الرجل الذى أشعل الثوره.
- أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العامله منذ نشأتها حتى ١٩١٩.
- أنور الجندى - قائد الدعوة ، حياة رجل، وتاريخ مدرسة.
- أنور الجندى - الاخوان المسلمون فى ميزان الحق.
- جرائم عصابة الاخوان - مجموعة كتاب.
- جمال الدين الافغانى - خاطرات جمال الدين.
- جمال سليم - البوليس السياسى يحكم مصر.
- حسن البنا - رسائل المؤتمر الخامس.
- حسن البنا - القول الفصل.
- حسن البنا - الرسائل الثلاث.
- حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية.

- حسن البنا - مجموعة الرسائل.

- حسن البنا - رسالة التعاليم.

- حسن البنا - بين الأمس واليوم.

- زينب الغزالى - أيام فى حياتى.

- زكريا البيومى [الدكتور] - الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية.

- رفعت السعيد [الدكتور] - حسن البنا، متى وكيف ولماذا ؟

- رفعت السعيد [الدكتور] - صفحة من تاريخ جماعة الاخوان.

- رفعت السعيد [الدكتور] - ضد التأسلم.

- رفعت السعيد [الدكتور] - والصمت لا.

- رشيد رضا - تاريخ الاستاذ الامام.

- رشيد رضا - الخلافه أو الامامة العظمى.

- رشيد رضا - تفسير القرآن الكريم.

- رشيد رضا - الوحى.

- سيد قطب - معالم في الطريق.

- سيد قطب - فى ظلال القرآن.

- سيد قطب - مقومات التصور الاسلامى.

شبلى شميل [الدكتور] - فلسفة النشوء والارتقاء.

- شبلى شميل [الدكتور] - مجموعة الأعمال [مجلدان]
- شكرى مصطفى - التوسمات (مخطوط).
- صفوت منصور - المنهج الفكرى للعمل الاسلامي.
- صلاح شادى - الشهيدان - حسن البنا وسيد قطب.
- صلاح شادى - حصاد العمر.
- طارق البشري - الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢. [الطبعة الأولى].
- عبد الخبير الخولى - قائد الدعوة الاسلامية، حسن البنا.
- عبد الرحمن الرافعى - فى أعقاب الثورة المصرية.
- عبد القادر عوده - التشريع الجنائى الاسلامى.
- عصام حسونه - ٢٣ يوليو وعبد الناصر .
- على جريشه [الدكتور] - أصول الشريعة الاسلامية.
- محمد حسن أحمد - الاخوان المسلمون فى الميزان. [إسم سرى].
- محمد حبيب أحمد - نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث
- محمد صبيح - مواقف جاسمة فى تاريخ القومية العربية.
- محمد الغزالى - الاسلام والاوضاع الاقتصادية.
- محمود عبد الحليم - الاخوان المسلمون - أحداث صنعت

التاريخ.

- محمود الصباغ - حقيقة التنظيم الخاص.

- موسى إسحق الحسينى - الاخوان المسلمون، كبرى الحركات الاسلامية الحديثة.

- ولى الدين يكن - المعلوم والمجهول.

- ولى الدين يكن - التجاريب.

● كتب تراثية وقواميس

أبو بكر الطرطوشي - سراج الملوك.

إبن الاثير - الكامل فى التاريخ.

- إبن حزم - الفصل.

- الشاطبى - شطب الموافقات.

- المبرد - الكامل فى اللغة والأدب.

- مختار الصحاح.

● أوراق قضائية ووثائق.

- الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين - ٨ ديسمبر ١٩٤٨. والمذكرة التفسيرية المقدمة من عبد الرحمن عمار بك وكيل وزارة الداخلية.

- البرنامج التثقيفى لجماعة الاخوان المسلمين.

- رسالة من خالد محيى الدين عضو مجلس الثورة إلى حضرة المحترم جمال عبد الناصر وكيل مجلس قيادة الثورة مؤرخة فى ١ - ٣ - ١٩٥٣ [خطية]

- محضر أقوال الشيخ محمد الغزالى أمام محكمة أمن الدولة العليا فى قضية إغتيال الدكتور فرج علي فوده.

- محضر تحقيق النيابة في القضية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عسكرية عليا، المتهم فيها سيد قطب وآخرون.

- محضر تحقيق النيابة في الجناية رقم ١٠٧١ لسنة ١٩٥٢ والخاصة بمقتل حسن البنا.

- محاكمات الثورة - الكتاب الأول - محاكمة ابراهيم باشا عبد الهادى.

- محاضر محكمة الشعب - ا لكتاب الثاني، والثالث والرابع.

[المتحف البريطاني] - F.o. 371 - 73474-
13597).(1949

• صحف ودوريات

- الأخبار - ١٩٠٦.

- الأخبار - ١٩٧٣.

- البصير - ١٨٧٨.

- آخر ساعه. ١٩٤٨.

- الأخوان المسلمون - ١٩٤٥ - ١٩٤٦.

- الدعوة - ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٧٧ ، ١٩٨٠.

- المباحث - ١٩٥١.

- المسلمون - ١٩٥٣.

- المصري - ١٩٤٨.

- المصور - ١٩٥٢ - ١٩٥٥.

- المقتطف - ١٨٧٦.

- الوفد المصرى - ١٩٤٦.

- الهلال - ١٩٦٨.

- النذير - ١٩٣٨ - ١٩٣٩.

- شبرا - ١٩٣٨.

- Cahiers de L' orient Contemporaine (1940)

- Monde non - Chretien. (1923).

• مؤلفات أجنبية:

Adams - Islam and modernism in Egypt.

Badawi, Zaki - les Probleme du travail et les organisations ouvries.

- Berger, M. - The Arab World today.

- Bohem,Jaeob - Les Freres Mouselmane.

- Binin and Lockman - Workers on the Nile.

- Hayworth , dune - Religous and Political trends in Egypt.

- Hourani , Albert - Arabic thought in the Libral age.

- Khadduri , M.- political trends in the Arab World.

- Mitchel , R. - The Society of Muslim Brothers.

Resner ,Lawrance - Etenal Stranger - the Pilot of modern jew From Bagdad to Casablanca.

- Wheellook, Kwith - Nassers New Egypt.

رقم الايداع : ٢٠٠٢/٧٥٤١
الترقيم الدولى : 977-5130-24-7

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)